على جدار القلب
بقلم
د.زينب النجدي

إهداء

إليها... إلى كل إنسان ألهمني بجملة، بإنفعال، بموقف، بنيت عليها فكرة قصة، إلى كل إنسان دعمني بالمدح أو النقد البناء.

زينب النجدي،،،

صحبة

كونت وعدد من الأصدقاء مجموعة نطلق عليها،،صحبه،، وتشمل الحروف الأولي من إسمائنا..المهندس صبري، المحاسب حسان، الطبيب بدوي.. و...أنا هاشم .. أخصائي فني ميكانيكي بورشة المصنع العملاق الذي نعمل به من أكثر من عشر سنوات، جمعنا حماسنا بالعمل مع إختلاف المهن و نشأتنا في أسر بسيطة مكافحة.

كان الخميس الأخير من كل شهر يوم نلتقي فيه خارج جدران بيوتنا...نتلاقي في مقهى شهير وسط البلد بعد صلاة العشاء..... كل منا يحرص على ان يرتدي ملابس بسيطة تلاءم المكان، حليق الذقن، متطيب بعطر خفيف.

نلتقي وعلى صوت الست نتحدث.. نتحاور بالموضوعات السياسية والحياتية.. نتجنب الكلام عن بيوتنا وأولادنا... كنت أجتهد في قراءة الصحف اليومية ومتابعة التلفاز بمحطات الرأي الآخر والقومية حتي أستطيع الخوض بكل مايُطرح من موضوعات.
كانت لقاءات صاخبة الحديث عالية الضحكات..مليئة بدخان سجائرنا والمشروبات...هكذا هي أمورنا وحالنا، إلي أن حضر حسان يوما ومعه صديق له.. المحامي شوقي ...حين رأيته لم استرح له من الوهلة الأولي... يرتدي بدلة كاملة وربطة عنق أنيقة وحذاء لامعا والعطر النفاذ يسبقه إلينا..تقبلته بدون رضا بتردد وعدم راحة..كان يختلس النظر إلي، بعد أن قام صديقنا بالتعريف بنا.

اندمج معنا في الكلام...و توقف الحديث عن البورصة وسوق الأوراق المالية..وقانون الأحوال الشخصية الجديد....كنت كغريب وسطهم...لم أكن أعلم شيئا عن الموضوع ولم يصادف أن قرأت عنه...التزمت الصمت...والضيف المحامي المتحدث اللبق يصول ويجول ويستمع الجميع له بإنصات واهتمام وإعجاب
انتهت ليلتنا وتفرقنا بعد السلامات ...
عدت لبيتي..حيران قلق من هذا الدخيل.....وضعت المفتاح بباب الشقة بتردد..فوجدت زوجتي بملابس منزلية مبركشة ومنديل على شعرها المنسدل وهي قابعة أمام التلفاز تضحك بصفاء على مشهد مسرحي طريف..مع إنه معاد مرات ومرات.... بادرتني قائلة.. .أهلا وسهلا
اخبارك..
امبسطت من السهرة...
تتعشي...
قلت بفتور..لا.. واتجهت إلي غرفتي لتبديل ملابسي.. توقفت بمنتصف الصالة وسألتها ..هو صحيح تعرفي حاجة عن البورصة.. قالت بدون تفكير أعوذ بالله..
التفت إليها بإندهاش، قلت إيه ما لها؟
قالت هي دي ياخويا اللي بيقولوا عليها في الافلام ... تشتري الحاجة سعرها يزيد .الناس تفرح.. وبعدين السعر يقل

يخسروا كل فلوسهم...و ..و..و يجيله بعد الشر عنك سكتة في قلبه.....وصمتت...ضحكت...ضحكت من قلبي...هكذا .. ارتحت...وقد وجدت إنسانا ينظر للموضوع ببساطة بلا قلق ولم يشعر بالجهل ..سألتها حتعشينا إيه نظرت إليّ بشك..تعشينا.. وتناسيت الموضوع....نمت وانا أتململ... هذا الدخيل وترني وهدد الصحبه.

-2

أفقت من نومي وزوجتي توقظني... قوم ياهاشم الساعة تمانية ... يوم الجمعة الاول من الشهر ازور بيت والداي بعابدين بمفردي ، الجمعة التالتة كنت اصطحب زوجتي سلمي واولادي أدهم وسهر لزيارة حماي وحماتي وهما جيراننا منذ طفولتي وقد احببت زوجتي حينما رايتها تلميذة في الاعدادي وظلت اراقبها حتي تخرجت من الثانوية التجارية..وكنت انهيت خدمتي بالجيش واشتغلت وخطبتها وتزوجنا بشقة صغيرة بحي شبرا... كنا نزورهم ونتغدي معهما.. ثم نعرج على والداي ونشرب معهم الشاي عند المغرب...

بدلت هدومي وغادرت بيتي وركبت حتي وصلت إلي باب الخلق، دلفت إلي المطبعة التي يعمل بها أبي... ووجدته ينتظرني.. سلم علي بكل حنان .. وجلسنا قليلا.. ثم ادينا صلاة الجمعة بمسجد الفتح... وذهبنا إلي بيت ابي العامر البسيط باثاثه ولكنه غاية في النظافة والترتيب.

جاءت امي متلهفة حينما سمعت مفتاح أبي بالباب..اخذتني بحضنها الطيب الدافئ... جلسنا علي الكنبة .. وقدمت امي لنا الليمونادة... وسمعنا صوت اخي الاصغر كامل المدرس بالمدرسة الاعدادي .. وكان علي وشك الانتهاء من تشطيب شقته التي سيتزوج فيها من زميلته بنفس المدرسة..دخل مهللا ومرحبا... تحدثنا كثيرا... وسألت عن اختي عايدة والتي تزوجت بعد أن حصلت علي دبلوم صنايع زخرفة من فني اسنان جارنا و سافرت إليه بإحدي دول الخليج...ومعها طفلها حسين

تناولنا الغداء الشهي ونحن نجلس على الطبلية.. وذهبت أمي لإعداد الشاي...

وسألني أبي.. مالك ياهاشم؟... إلتفت إليه..

قلت انا بخير..قال لا.. هو انا مش عارفك .. فيك إيه شارد.. إيه اللي شاغل بالك سردت علي أبي تخوفي وقلقي أن يزيحني هذا المحامي الذي حط على صحبتنا وإحساسي بأنه ربما يسهل استبدالي من هذه الصحبه..

دلفت امي بصينية الشاي والنعناع يعبق الصالة...

قال أبي... قوم ياهاشم هات العود من فوق دولابك القديم... نسمع شوية وتفرفشنا...

ياااااه.. يابي.. ده انا بقالي زمان لم أمسك العود.. من بعد مادخلت الجيش...

كان هناك رجلا يدق علي العود متجولا.. يلف ويلف الحي

ويجلسه أبي على باب المطبعة ويسقيه كوبا من الشاي وقسط من طعام.. وكنت في مراحل التعليم بالاجازة الصيفية اعمل مع ابي بالمطبعة.. وكان ان علمني هذا

الرجل الدق علي العود وكنت فرحا وسعد أبي كثيرا فكان محبا للست..وينتظر حفلاتها..
جلبت العود الملفوف بقطعة من القماش بحرص.. وجلست وسط اسرتي.. اعدل واوزن الاوتار.. اخذت في العزف والغناء.. وسط ضحكاتنا ...عدت الي بيتي في شبرا وانا اكثر راحة وهدوءا.
كنت انتظر موعدنا الشهري مع الصحبه بلهفة ..ذهبت الي الموعد ، وتعمدت ان اذهب متاخرا قليلا..الحقيقة اني كنت منتظرا بالزاوية ..حتي اكتمل الجمع وحضر هذا المحامي الدخيل المتأنق كما توقعت...وبدأ الجميع في الكلام والحوارات .... دلفت الي المقهي متأبطا عودي... استقبلوني متهللين وعيونهم على العود وامطروني بالاسئلة.. وتوقف الحديث الذي بينهم ويقوده المتأنق...قال بدوي سمعنا سمعنا ياهاشم..لم نكن نعلم انك تعزف وكمان بتغني... واكمل صبري سمعنا يابطل... وتحولقت ال،،صحبه،،،حولي ... والمحامي يجلس يكتم غيظه... عزفت وغنيت وغنوا معي.. ووصلت اصواتنا من يجلس حولنا.. شاركونا... ضحكنا وتحدثنا وشربنا الشاي والدخان... وتفرقنا على ان نجتمع الشهر القادم...
حين جاء الموعد... صاحبنا لم يكن له اي آثر... خرج من وسط صحبتنا.. بلا ذكرى... سوى بداخلي... اضاء ابي العامل البسيط داخلي طاقة وثقة بان كل منا له موهبته وقدرته وجهله ايضا.

نهاية....

لقاء

في ضجيج وطنين ساحة محطة القطارات، حيث يهرع المسافرون ويركض المودعون..الحقائب المكتظة..المقاعد المتناثرة...العاملون المنهكين....تركت حالي بين الجموع ...دلفت الى القطار القابع على الرصيف وتهدر ماكيناته معلنة استعدادا لبداية الرحيل.
تحريت مقعدي بالعربة...وجلست التقط انفاسي...أرقب أنماط المسافرين معي، وأتوقع نوعية أعمالهم من هندامهم وطريقة حديثهم ، والغرض من السفر
.
وضعت حقيبتي على الأرفف المتراصة أعلى المقاعد التي أحمل بها ثوب رسمي . للمقابلات ...ورداء النوم ...وبعض من ملابسي اللازمة...
وضعت حقيبة يدي الصغيرة على ركبتاي...فتحتها وأخذت أتحرى مابها....قلم..أجندة صغيرة...مرآة صغيرة...عطري المفضل...إنها رحلة سفر للعمل سريعة في فرع للشركة التي أعمل بها كمراقب مالي..
تحرك القطار فجأة بدفعة...وبحركة غريزية قبضت على مسند مقعدي... فوقعت حقيبتي الصغيرة وتناثر مابها على ارضية القطار ارتبكت ...رفعت عيناي لألحظ ذلك القابع بجواري بالصف الموازي لمقعدي وفي يديه الصحيفة اليومية يجلس في ثبات....انحنى برشاقة وجمع ماوقع دونما تلصص او اطالة النظر في ما يجمعه ...ناولني اياهم ... شكرته باضطراب ....التقت عيوننا وتبادلنا إبتسامة مقتضبة قام بعد لحظات وادار مقعده فاصبح مواجها لي، قال موجها الكلام لي اعتذر اني اجلس قبالتك.. الترحال مع اتجاه القطار يصيبني بالغثيان...قلت في بالي ماذا يعنيني ... من الامر..رفعت كتفاي وكأني اقول لابأس،
أهم شئ ان لا أحد يجلس بجواري واحرص على اختيار المقعد المنفرد بالدرجة الاولى بالقطار التوربيني الذي لايتوقف الا بنهاية الخط.... انطلق القطار.. غير مبال لمن بداخله عالما بالطريق الذي يسلكه....رحت أجري إتصالات هنا وهناك ثم تهيأت للاسترخاء...ألقيت نظرة خاطفة على المسترسل في القراءة وكان يقرأ في تركيز إلا أني لاحظت أنه يختلس النظر بين الحين والآخر....قطع صوت أجش مرحبا به الصمت وأفكاري... تبادلا الحديث وقوفا. . جلس ونظر إلي بعد أن ذهب محدثه بعيدا ...في مقعده معتذرا عن تكدير راحتي
ومر الويتر معلنا عن المأكولات والمشروبات الساخنة الباردة...اشار اليه ...و دعاني لفنجان من القهوة...قلت فضلا بلا سكر.... وما أن بدأنا في إرتشاف أول رشفة ...سألنى عن وجهتي...كانت البداية لحديث بطول الطريق....عرجنا على مواضيع جمة.... اتفقنا في الرأي واختلفنا في وجهات....كل منا أعطي صورة عن عمله..علمت أنه يقطن بالمدينة التي أسافر إليها..ويعمل مهندسا باحد الشركات الكبري ويتابع المشاريع بالمحافظات حسب مايستلزم العمل... .اقتربنا حين تكلمنا عن الوضع السياسي همسا...كانت لحظة ارتسم فيها بداخلي ملامح وجهه..وسمرة

بشرته..وشعره القصير البني المجعد المهندم بعناية...عيونه العسلية جذبتني...ربما حين نتقابل بالمصادفة نبدو أجمل.... إستاذن ليدخن سيجارته بالطرقة الفاصلة بين عربات القطار...يرتدي بنطلون رمادي صوف وجاكت كحلي قميص ابيض ناصع ..حذاء ايطالي بني.....وقد ترك كوفيه ناعمة جملي...قام مبتعدا..ولمحت طوله ...وجسمه الرياضي
شددت شالي الناعم علي كتفي وكأني الملم نفسي...واغلقت معطفي الاسود.. اختلست نظرة عبر زجاج الباب الموصود رأيته يحدق بي...اشحت بنظري ...عبر النافذة أرقب الصور المتلاحقة من الأشجار والحقول والمباني...وافكر في الاجتماع والاوراق وترتيب الحديث مع رئيسي بالعمل ....وغفوت....ايقظني رنين منبه الهاتف.....لقد اقتربنا من الوصول تيقنت من هيئتي واستعدت نشاطي...التقطت قطعة من الشوكولاته من حقيبتي ..وجدته يبتسم... عزمت عليه بقطعة ... تناولها وشكرني....وبادرني هذه بطاقتي ...لا أود أن أزعجك بطلب أي معلومة للإتصال منك...ولكن إن شعرت برغبة في الحديث معي.. سأكون سعيدا....وصلنا لنهاية الرحلة ...توقف القطار...توقفت أنفاسي...اشار بيده ليودعني.... هل هذه البداية. ام النهاية...
تحرك ممسكا محفظة أوراقه الجلدية ...تاه عن ناظري وسط جموع العابرين الى باب عربة القطار...اخذت طريقي بهدوء..نزلت من القطار ..استقبلني الأستاذ سالم سكرتيري الخاص ، اخذ عني حقيبتي.. قال السيارة بالانتظار حضرتك.. اخذ يثرثر معي عن الرحلة وكيف كانت وهل مريحة...بادرته هل جهزت الاوراق واعددت .. للاجتماع وابلغت الجميع بالموعد المحدد..قال كله تمام وصمت
..وضعت نظارتي وخطوت باعتداد وثبات خارج المحطة...يتبعني سالم
قبل ان استقل السيارة مزقت البطاقة الصغيرة التي امسكها في يدي وقذفت بها في سلة المهملات... عفوا اللقاءات العابرة تصيبني بالغثيان..

-2

اوصلني سالم الى مقري في الفندق المجاور لفرع الشركة ، وضعت شنطتي، اصلحت زينتي وشعري وبدلت ثيابي.. نزلت الى الشركة في قمة النشاط..حضرت الاجتماع المرتب من قبل.. وعملت حتي وقت العصر.. فترة الغداء استرحت قليلا ثم ...استكملنا العمل... عدت الى الفندق .. نمت وفي الصباح عدت الى القاهرة
استقبلتني امي مرحبة وهي تحتضني وتقول كنت قلقانة عليك عملت ايه، اكلت، ولا نسيتي نفسك كالعادة.. كل حاجة احكي لي... قلت ياماما احنا كل ساعة بنتكلم.. واطمنك... قالت انا مش ح اطمن عليك الا لما تتجوزي وتروحي بيتك...قلت بزفرة ...تاااني، انا مرهقة ح ادخل ارتاح شوية لغاية بابا مايجيي ونتغدي سوا
دخلت غرفتي الزهرية وارتديت ثيابي البيتي وجلست امشط شعري امام المرآة ... ...شعرة بيضاء ..تجعيدة على جبهتي... نعم انا ابدأ النصف الثاني من الثلاثين..

منذ خمس سنوات تعرفت على زميل بالعمل تودد إلي مرة ومرات .. لفت نظري بنشاطه واجتهاده في اداء ما يوكل اليه بالشركة...كانت زميلات العمل يتقربن منه ...كنت ارفض تماما اي علاقات او صداقات ... ثم في صباح يوم ما تحدث معي وابدى تمنياته للارتباط بي وتقدم لخطبتي بالفعل من والدي تاجر الاجهزة الكهربائية في وجود اخي الكبير طبيب الاسنان والمتزوج من مدرسة ثانوي..وغاب اخي .الاصغر الصيدلي المسافر الى احدي دول الخليج
اتفقوا على التفاصيل ..ثم احضر والدته واخته الوحيدة غير المتزوجة وعمه حيت توفى والده من سنوات...
تمت الخطوبة في بيتنا الواسع في جو اسري بديع، تفننت امي ست البيت الرائعة في الماكولات والمشروبات ولم يدخر ابي اي جهد في ان يسعدني ويوفر كل الطلبات .. واهداني هدية ماسية بعد ان البسني حازم الشبكة..
كنت سعيدة متفائلة .. يأتي لزيارتنا...نتكلم ونتناقش ونحلم ... كنا نخرج في اضيق الحدود حيث يرفض ابي ذلك ....بعد مرة ومرة .. وجدت ان مانتفق عليه .. مجرد احلام... يتغير... لم يشدد عليه ابي في مساحة الشقة او موقعها .. بدأت في اختيار تشطيب الشقة .. الالوان ... ال....ويأتي بعدها ليقول ان والدته تفضل الوان اخرى .. ارضيات بنوعية مختلفة ... كل مااختاره لايعجبها... تكلمت معه انها حياتنا... وعلينا ان نفكر سويا... بلا تدخل من احد...المرات التي حضرت لزيارتنا دائما ما تنتقد لبسي، تسريحة شعري...طريقة كلامي ... وتعدل على ماابديه من اي رأي....يسمع ذلك ولا يعلق... احدثه فيما بيننا يقول والدتي هل اغضبها ... انها صريحة .. وبتقول رأيها... تحادثه وهو بزيارتنا ربما كل ربع ساعة..
تكلمت مع امي... قالت ابنها الوحيد ووالده متوفي... هي مرتبطة به جدا... حاولي تكسبيها اتكلمي معاها ..اسألي عنها .. اهتمي بما يسعدها...
مر عام وانهينا تشطيب الشقة ونحن نختار الموبيليا اختلفنا كثيرا
و توقفت عن اتمام اي شئ... وقفت مع نفسي لأقيم مايحدث معي... لم يُغير ماقدمه ...لحماتي المستقبلية من تعاملها معي وانما رأت هي انه ضعف منى
اما هو لم ارتبط به نفسيا بالقدر الذي يجعلني اتغاضى عن مايرهقني، نعم يحاول يرضيني ويقنعني في هدوء، ويتذكر المناسبات ويحضر هدايا...ولكن يظل دائما بلا هوية امام والدته..
تحدثت مع والدي عن عدم رغبتي في اكمال هذه العلاقة... قال يا ابنتي لايوجد انسان كامل الا سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام ، الشاب مؤدب ومستقبله معقول ... ولكن ...انت من سيعيش معه ... فكري .. واللي ح تقرريه انا معك
ظل حازم يحدثني ويسترضيني ... وطلب من ابي بإلحاح ان يسمح ان نخرج معا...وافق ابي جلسنا في احد الكافيهات... تخيلت كثيرا ما سيقوله... وكانت المفاجأة انه سيتوقف عن استكمال الزواج حتي تتزوج اخته والتي تقدم لخطبتها عريس..
ولماذا ... قال هذا رأي امي ... صحيح ان اختي لديها ورث من ابي مايكفيها ويزيد ولكن خوفا على مشاعرها...وتحدث باستعطاف.. ليكن يا حبيبتي ممكن نؤجل زواجنا . ...قليلا... تركته.. وهو يناديني استني يا نهى استني نتكلم...

عدت الى البيت جمعت شبكته وهداياه... وابلغت ابي بقراري بعدم استكمال الخطبة..
قال قدر الله وماشاء فعل... اتصل حازم على ابي موضحا موقفه ومدى تمسكه بي...
...قال ابي كل شئ نصيب ياابني تعالى خد حاجتك...ربنا يوفقك... انتهى الامر
.مرت الايام وقد وضعت كل جهدي بالعمل و ترقيت واصبحت مديرة ادارتي
... نادت امي يانهي ... انت صاحية ولا نايمة ياحبيبتي.. بابا وصل الغدا جاهز
افقت من ذكرياتي الي مرت وانا اجلس امام المرآة...قلت حاضر حاضر حالا..

-3

انشغلت بحياتي اليومية شغل، البيت، التدريبات الرياضية، طلبات مع امي
في صباح يوم ما ..ذهبت إلى الشركة دخلت مكتبي الزجاجي القابع في صدارة
الادارة .. وجدت باقة من الزهور الوردية على غير العادة رائحة منعشة
جميلة...لحقني سالم على الباب قبل ان اغلقه وقال صباح الخير استاذة نهى ..فيه
استاذ عايز يقابل حضرتك
من ... وجدت يدا تزيح سالم الي جانب الباب ويقول ،،فؤاد مُحب،،
قلت افندم .. مين ...انه ..انت
قال وهو يخطو إلى منتصف المكتب ويقدم الكارت...
قلت اه وانا اقرأ... المهندس فؤاد مُحب
... اهلا وسهلا اتفضل ..طلبت القهوة
.. قال اسمحي لي ..عارف ان فيه اسئلة كثيرة
في القطار تعمدت النزول قبلك بصراحة علشان اتابعك..وبالتاكيد رايتك وانت بترمي
الكارت.. اتبعتك بسيارتي التي اركنها بالقرب من محطة القطار وعرفت الفندق
واسمك و الشركة. . وكان سهلا بعدها ان اعرف مقرك بالقاهرة... لاتغضبي
ارجوك... بمجرد انهيت ارتباطي بالمشروع الذي اتابعه نزلت القاهرة .. وأتيت
لأراك ... قال كل ذلك دفعة واحدة ، انا ساكنة وانظر اليه
قلت بعد برهة من سكوته .. ايوه .. تمام.. وبعدين... ايه..محتاج استشارة
...معينة...اتفضل
قال اتمنى ان تعطيني الفرصة للحديث وافسر لك... قلت انا ارتب اوراق علي
المكتب باعتذر اصل عندي شغل كتير قوي
.. اسمحي لي اكلمك..ارجوك.. استأذن وأنصرف
تحدثنا كثيرا ..على الهاتف
صوته مريح .. كلماته صادقة..كان متزوجا دام زواجه عاما وانفصلا بعد عام ..وظل
اربع سنوات وحيدا الى ان تقابلنا
..قال احسست للوهلة الاولى انك قدري انك من اتمني اعيش عمري معها
بعد ثالث يوم من احاديثا المستفيضة قال ممكن تحددي موعد مع الوالد اقابله.
تعرفوا... تعرفوا لما قطرات الندى تتهادى على بتلات الزهرة
...احساس اول مرة احسه.. قلبي يدق بنغم، غلالة رقيقة تحيطني، سعادة تغمرني
..كلمت والدي.. قال اهلا وسهلا..يتفضل

حضر ومعه الورود، رحبا والداي به. . قبل يدا امي ورأسها..جلس مع ابي واخبره كل شئ.. ورغبته في الارتباط بي .. قال ابي نأخذ رأي نهى.. لحظتها دخلت الى الصالون بصحبة امي..وانا ارتدي ثوبا ورديا ناعما طويل وعقد من زهور صغيرة ...على احد الكمين ، اسدل شعري الاسود مع خصلة ذهبية
... حينما رأني وقف مبهورا وفرحا واستقبلني
ولما رأني ابي... قال على بركة الله...قال فؤاد نقرأ الفاتحة... احضر والديه واخوته وفي حفلة عائلية اسرية دافئة ...قدم الشبكة... بعد اربعة شهور تزوجنا ...بعد أول لقاء ...

نهاية....

بداية

عدت إلى بيتي بعد أن أنهيت دوامي بالعمل كمدير إدارة الحسابات بهيئة الميناء في الرابعة بعد الظهر، وقد وظفني أبي معه منذ ثمان سنوات حيث شغل مدير عام بها ..وخرج إلى المعاش السنة الماضية.. ويقطن حاليا مع عمتي الأرملة في محرم بك في بيت جدي الذي ورثاه.. وترك لي هذه الشقة التمليك بعد وفاة والدتي وزواجي منذ ست سنوات.

أدرت مفتاح الشقة واستقبلني ،،أدم،، بترحاب ومرح وهو يلوح بدفتره ويصيح خلصت الهوم ورك يابابا..... من المطبخ قالت أمه لسه حنراجع... رديت بلا إكتراث ..ده طفل في كيه جي ون يابثينة، مراجعة إيه بس... قالت طيب غير هدومك وتعالى الغدا جاهز.

فعلت ماقالت وكأني آلة..خرجت للصالة لأحمل صينية مرصوصة عليها الأطباق بالأكل... جلسنا نأكل والتليفزيون يذيع مباراة الكورة.. ونثرثر في أسعار الخضار والفاكهة..

فجأة توقفت زوجتي ...قلت فيه إيه..قالت افتكرت...قلت خير يا رب... قالت شفت مين النهاردة فى المول لما كنت باشتري الترينج لأدم... قلت أيوه مييين... قالت سوسن... أيوه مين سوسن..

قالت صديقتي من أيام ثانوي..مش فاكر..أانا حكيت لك عنها... أيوه أيوه رديت وأنا أشاور بيدبرضجر.

أضافت زوجتي..أنا دخلت كلية الآداب وهي دخلت كلية الفنون الجميلة بمصر...وابتعدنا ولم نتقابل من يومها وقابلتها اليوم... لو شفت ازاي إتفاجئنا وأخذنا في الصراخ وإحنا فرحانين ..الناس كلها في المول اتفرجت علينا... أكيد.. رديت بإمتعاض.

قالت هي هنا مع جوزها لحضور ورشة عمل أو مؤتمر حاجة كده عن الرسم والفن وكده.

قلت خير...وأنا أهُم برفع الأطباق الفارغة التي التهمنا مابها..قالت أنا عزمتها علي وجبة سمك بكره...الساعة أربعة العصر..هي وحدها..أصل جوزها مرتبط بعمل و ح يلحق بها ليأخذ الشاي معانا.

وقفت مكاني...بكره الجمعة وفيه ماتش مهم... و..و... قالت حتكسفني...قلت إيه المطلوب تجنبا لأي مناقشة، قالت وجبة سمك على جمبري وكابوريا وسبيط...ولوازم كده... قلت... تمام.

انشغلت نمت قليلا ثم خرجت في الثامنة إلى أحد الكافيهات مع أصدقائي وحتي الثانية قبل الفجر.

في صباح الجمعة باكرا أيقظتني زوجتي... فطرت لقيمات مع الشاي ونزلت، تحصلت على كل الطلبات وعدت بسيارتي..صليت الجمعة بالمسجد القريب ثم عدت لاستكمل نومي بعمق وتركت زوجتي مع عزومتها.

قمت قبل العصر مباشرة... روائح شهية تعبق الشقة... بدلت ثيابي... جلست أراقب ابني وهو يصول ويجول بألعابه... على الموعد...دق جرس الباب...افتح يا وجيه.. زوجتي تنادي... فتحت لأجد شابة تتصدر الباب بلا موارية شعرها أسود فاحم ترفع خصلاته بنظارة شمسية كبيرة بيضاء البشرة ترتدي بنطلون وسترة جينز تحتها بلوزة بيضاء وشنطة كبيرة ملفتة قرمزية...ما أن همت بالكلام..حتى وجدت زوجتي من خلفي وهي تهتف من أعماقها ...سوساااااان، والأخرى كالمجنونة تهتف بوسيييي... تلاقت المرأتان بعناق طويل مع الضحكات... ترحيب هنا وهناك...جلسنا للغداء والضيفة لاتتوقف عن الكلام...وأخذنا في الاكل وكان أدم قد انغمس تماما في لعبة لتنمية المهارات كانت أحضرتها هدية..أعطتنا فترة طيبة للهدوء.. اختلتا الصديقتان على ركن بالصالون وهما لاينفكا يتبادلا العناق ومسح الدموع.... رن تليفون الضيفة وقالت الدكتور صفوت على الباب...من؟ ..زوجها... فتحت الباب لأجد أمامي الدكتور صفوت السعيد الناقد والفنان التشكيلي المعروف...والذي يكبر صديقة زوجتي عشرون عاما على الأقل... لم أصدق..أهلا وسهلا... لم أتوقع... رحبت به ..نظر إلي كمن يحاول أن يتذكرني..عرفته بنفسي ..وأردفت أنا حضرت مع حضرتك عدة ورش عمل للرسم والنحت... .مع فنجان الشاي ودخان السجائر دخلنا الفراندة الرحبة والتي تطل مباشرة علي كورنيش الشاطبي... ... جلسنا علي الكراسي البامبو بجانب حوض بلوري من الأسماك الملونة، تحدثنا وأنا منبهر ومتحمس للغاية.....قال أين اختفيت كنت متوقع منك الكثير..قلت انشغلت بالعمل والزواج و...و..

انضممنا حول الحلويات وفنجان قهوة قالت سوسن الدكتور أستاذي بالجامعة رأني وتقدم إلي وتزوجنا.

قال فين أعمالك..قلت على إستحياء إنها محاولات..عرض علي أن أعرض عليه مالدي وقال أنتظرك غدا في الخامسة في أتيليه القصر...خلف مكتبة الاسكندرية... ثم استأذنا في الانصراف.... اختلست نظرة خاطفة علي ملامح زوجتي وتعبيرات عدم الرضا جلية

في الصباح الباكر من يوم السبت وقبل أن تصحو زوجتي من نومها، تسللت إلى الحجرة الصغيرة في نهاية الردهة والمغلقة من سنوات.. فتحتها بحذر ..أضأت الأنوار.. وعكفت على تذكر اللوحات ومكانها..

كنت وحيد والداي..وكانا يسمحا لي بالسفر للخارج في إجازة الجامعة..كنت أعمل بأي مكان..وأتمتع بالمناظر الخلابة...وأزور المتاحف والمعارض...كان حب الرسم يملك علي نفسي..

لم أبحث طويلا عن الأتيليه..وانا اتأبط لوحتين من محاولاتي..بعد لفهما بحرص..ونزلت وأنا أتجنب ألا تراني زوجتي.. التي لاتؤيد ولاتشجع إطلاقا هذه الهواية وترى أنها مضيعة للوقت، وبلا فائدة.

القصر العتيق كان يملكه أحد اليونانيين الذين عاشوا بالأسكندرية ثم توفى بدون وريث وآل إلى وزارة الثقافة...حديقة القصر بها تجمعات من الفنانين..دلفت إلى الصالة الفارهة بسلم رخامي متراص على جانبيه زهور بديعة ...حلقات نقاشية هنا..وهناك...لمحني الدكتور صفوت..واصطحبني إلى أحد الغرف الجانبية..وضعت أولى اللوحات على الحامل وقد زاد من الإضاءة...اومأ برأسه أن أضع اللوحة الأخرى...مر وقت وهو يتمعن اللمسات والألوان يبتعد ويقترب.. قال أخيرا...لابأس... دخل مجموعة من الفنانين إلى الغرفة وتأملوا اللوحتين في هدوء... قال الدكتور..رحبوا بفنان أعتقد أن سيكون له شأن في عالمنا..

عُدت إلى البيت وأكاد أطير..ولم أصدق نفسي لما بادرني الدكتور قائلا.. أرغب في لوحة تعبر عن مابداخلك..اترك العنان لأفكارك وإحساسك..

معك ثلاثة شهور حتي تتمكن من المشاركة بمعرض دولي للهواة سيُقام بالمدينة هنا.. فرصة.

بلا تفكير قدمت لأجازة من العمل لأتفرغ تماما.. لم أقلق على مصروف البيت.. كان لي مبلغ يكفيني ريعه تماما...وقد أودعه لي ابي أكرمه الله بعد أن حصل على مكافأة نهاية الخدمة...هيأت الغرفة المتطرفة بنهاية الردهة...الألوان الفرشات.. الأدوات... الاضاءة.

توترت علاقتي بزوجتي... لم نعد نتكلم إلا اضطرارا...لم تكن موافقة على ماأفعل... وكانت هي البداية بالنسبة لي.... ما ان بدأ أدم الإجازة المدرسية...حتى جمعت بعض من ملابسهما...وذهبت لبيت أبويها... حاولت إثنائها عن ذلك...تحدثت إلى والدي... ورضخ لإختياري... وأوصاني أن أتابع زوجتي وابني وأن لاأقصر في شئونهما..حتى تتضح الأمور.. كلمت والدا زوجتي، أناس طيبين جدا لم يفهما ما أتحدث عنه وعن حلمي وأنه على بثينة أن تدعمني أنفذ ماأتمنى... تحدثت كثيرا إليهما وإلى زوجتي... قالت: سيبني شوية وإنت شوف ح تعمل إيه...

هكذا... أصبحت وحيدا..كل شاغلي...الرسم...أخرج للتمشية علي الكورنيش..علي البحر..بألوانه بهدوئه بغضبه... المتاحف..الجاليرهات ..الحدائق.. عيناي تلتقط الوجوه والبسمات ونظرات الحزن والحب.. كأني أولد من جديد.. أرى الأشياء والناس والانفعالات..افتح عقلي وقلبي وأحاسيسي..

حتي...حتي... وجدت فرشاتي.. تحط أولى اللمسات...لم أتوقف... رسمت بكل خلجات الروح...لا انتبه للوقت... والدي الحبيب لم يفارقني... يأتي لزيارتي والاطمئنان على حالي...مع وجبات عمتي الغالية... اتصلت على أستاذي... بعد شهرين من العمل... أمهلني حتى يزور المدينة.... بالفعل جاء لزيارتي...هاله حين رأني وذقني قد طالت..وازددت نحافة... قلبي يكاد يقفز فرحا حين أثنى على لوحة بعينها... وقال أكمل هذه واشار إلى لوحة كنت اخفيها.

قرر الدكتور صفوت مشاركة لوحتين في المعرض الدولي الذي تحدد موعده بعد أسبوعين... حصلت على دعوات للمعرض..حادثت زوجتي وزرتها واحتضنت وحيدي... قصصت لها ماحدث..ولكنها لم تأبه..قال والدها ربنا يعمل اللي فيه الخير ياابني.

عدت إلي بيتي متوترا حزينا كنت بحاجة إلى من أتحدث معه يحتضني يهدهدني... قضيت الوقت حتى موعد المعرض وارتديت بدلة جديدة أنيقة.. كلمت زوجتي حتى أمر عليها لاصطحبها وابننا... رفضت.

حضرت المعرض الذي أقيم في أكبر صالة بأرقي فنادق المدينة..يتلألأ بالأنوار ..والفنانين واللوحات.

والدي وعمتي يملأ عينيهما الدموع.. الفرحة... وأنا أرقب النقاد و هذا الحراك الفني البهيج.

في نهاية المعرض أعلن عن اللوحات الفائزة، ويا فرحتي فازت إحدى اللوحتين... وحصلت على منحة تفرغ للإبداع في...في... إيطاليا....لمدة ستة أشهر.... ...مرحى...مرحى.

احتضنت ابي وبكى سعادة وعمتي تحتضننا معا... أما أستاذي فقد كانت سعادته تفوق دقات قلبي.. طرت إلى بيت والدا زوجتي أخبرها، خيرتني زوجتي ،ما هي أو السفر

..ماذ؟ا...كيف؟..و مرت أيام..

أنا في هذه اللحظة اتنزه بقارب روماني بمياه مدينة البندقية العائمة..وحينما أعود ربما تتغير أحوالي او أبقي كما كنت..او لا أدري لقد وجدت أول الطريق إلي تحقيق أحلامي .

حرصت على الاتصال بزوجتي وابني يوميا.. لم أتوقف عن التفكير ب أسرتي

عدت إلى مدينتي.. وحشني كل مابها اشتقت للتمشية على الكورنيش والقعدة مع أبي .و الاصدقاء وحضن عمتي واكلها.

اشتقت إلى البيت و صوت بثينة وأنفاسها وحركة وصراخ أدم.

عدت إلى زوجتي كلمتها فكرتها بأيامنا وأحلامنا واستقررنا.. وابننا ... بكت كثيرا .. تصافينا ..عادت أيام الصافية..راعيت أن يكون إهتمامي بأسرتي بالمقام الأول..ولم أفترق عن هوايتي.

نهاية ..

شجون

عشت أيام طفولة سخية، لعب ..ضحك... فرح... كنت أقطن مع أسرتي فى شقة ذات أسقف عالية، وشبابيك تطاول السقف إرتفاعا، تدخل الشمس.. تغمر الفراش.. ونحن مستسلمين في النوم.

اليوم وقفة العيد الكبير، علقنا ملابسنا الجديدة على طرف سرير كل منا بغرفتي أنا وأخي الذي يكبرنى بثلاث سنوات ، نمنا نحلم و ننتظر الصباح.

مع إشراقة أول شعاع ، ارتمينا أنا وأخي بأحضان أمي وأبي المدرس الثانوي،، امطرونا بالقبلات، صلينا بساحة المسجد الكبير، وانتظرنا نرقب أبي وهو يشارك بتجهيز الأضحية، وعكفت أمي علي توزيعها وتجهيز الغداء المبكر.... وخرجنا للعب.

كانت عمارتنا أشبه بدوار كبير يخرج كل الأطفال بالمناسبات السعيدة يلعبوا معا...تعلق فؤادي به... حين قابلته لأول مرة، وكنت بالسابعة من عمري حينها، وقد استقر وأسرته في الشقة المواجهة لشقتنا، وسألني اسمك إيه، تلعثمت وجريت... و مر ما مر من سنين..وظلت تفاصيل وجهه بداخلي... طويلا...قصير الشعر..عينيه بنية اللون ضيقة ، أنف مستقيم وفم متناسق يتجه طرفيهما للأعلى....بعد سنوات قليلة انتقلوا إلى منطقة أخرى لظروف عمل والده..وانقطعت أخباره... و دارت الأيام.. كنت اقف لأطلع على نتيجة التيرم الأول الدراسي بكلية الهندسة..سمعت صوتا من خلفي يقول هكذا دائما متميزة...صوت أخذني إلى سنوات بعيدة .. أيُعقل... أن يكون هو..كمال...عمارتنا.. طفولتي..وأنا فى قمة فضولي، التفت... لأجده أمامي..نعم هو

مد يده ومددت يدي بتردد، سحب يده سريعا، وأخبرني أنه يُدرِس بذات الكلية... ...وكان أن درست عليه في السنة النهائية.

كنت أثناء محاضرته انشغل بالكتابة أو التفكير في كل شئ إلا أن أنظر إليه، ولكن .....هيهات... تفلت مني نظرة خاطفة....ماتلبث أن تستقر عيناي في عمق عينيه

في صباح يوم... تقدم إلي بخطى مضطربة.. وأنا أقف بانتظار صديقة بحرم الكلية... ..حادثني وقال سأسافر.... هكذا.. وتركنى.

كم أنت قاسي... بلا كلمة...بلا تفسير.... هل ماشعرت أنا به..لم تشعر به... واهمة أنا...مسكينة.

تألمت.. بكيت... توجعت... مرت أيام... تخرجت ... وفَضلت العمل بالقطاع الخاص... بعد أن تركت مجال التدريس بكليتي ...لأكون بعيدة عنه، عن أنفاسه... عن أحلام وأوهام عشت لها وفيها.

وعلمت أنه تزوج بالخارج... تقدم إليَّ العديد...رفضت البعض ورفضني البعض ....بدون أسباب... وآخرين بأسباب واهية..

نعم لست بالجميلة... وإنما فتاة ذات بشرة بيضاء صافية ناعمة، عيون عسلية وشعر كستنائي كثيف مجعد...أنف متناسق.. وفم منمق...قوام رشيق يميل إلى النحافة المحببة...

وحدث أن طرق بابي شاب يمت بصلة لأسرة أبي ...يتميز بصفات عدة....وافق أبواي عليه...لأنه لا معنى أن أظل بلا زواج...تزوجت وكل طموحي أن أبني أسرة سعيدة متحابة مترابطة كأسرتي.... كان زوجي يدير أعمال والده صاحب شركة عتيدة بمجال الأغذية، كان مشغولا.. قليل الإهتمام بتفاصيل حياتنا.. ترك كل الأمور لي....البيت.. الأولاد ..المناسبات الأسرية...كان سخيا ...إلا في مشاعره.... عشت حياة روتينية عادية... أنجبت ولدين... أُغدِق عليهما حبي وحناني ولهفي واهتمامي...كانا يعشقا الشعر والرسم، التحقا بالجامعة وانشغلا عني رويدا...أما زوجي فكان يحلق بعيدا عنا من زمن....مشغولا بعمله الذي سافر من خلاله العديد من السفريات....بلا شوق أو لهفة كنا نلتقي..

انغمست في العمل... وتدرجت... وعملت إستشاري للشركة... أثناء متابعتي للعمل في أحد المشروعات العقارية....جاءني صوت عميق ذو شجن يقول.. كالعادة متميزة.....التفت...التقت العيون بفرحة... بدهشة . ...نسيت نسيت دموعي حين تغمرني وأنا وحيدة...نسيت نجواي والتي سكبتها في دفاتر مبعثرة..

دعاني لفنجان من الشاي بمكتبه...حيث كان مستشار أحد الشركاء بالشركة التي أعمل بها...تحدث كثيرا بالتفصيل عن عمله وأسرته....أولاده وحياته...كنت استمع وأفكر بكل كلمة... صمت .. قال...لم أشعر بالسعادة .. أعيش بلا معنى.. أبحث عن من بداخلي ولاأستطيع إبعادها عن مخيلتي..

كان يتحدث بصوت مكسور... ويدين مرتعشتين.. وألم بعينيه...إعتذر عن إزعاجي...كان قلقا مضطربا... تركته...انصرفت...عدت إلي منزلي...وحيدة...أفكر في كلامه...إذا كان شعوره نحو إنسانة ما كما وصف...فلماذا نلتقي.

سافرت إلى زوجي بمقر الفرع الجديد لشركته بالخارج لعله يحتويني...عله ينسيني الحنين إلي طيف من يسكن فؤادي حلم، وهم، فراغ....أبدا... ما تلاقينا ..وباعدت بيننا ...الأيام والسنين...عدت إلى عملي.

التقينا على متن باخرة عائمة تسبح على سطح ماء النهر ساعة غروب الشمس الناعسة بروية في فرح ابنة رئيس الشركة....اقترب مني...وقف إلى جواري..بعد أن ألقى التحية...سالني بغتة ..أخبار جاسر إيه...من؟...قال زوجك... حينما رأى دهشتي، قال: ألم تتزوجي جاسر.. قريبكم الذي كان يقطن بذات العمارة، قلت إنه صديق حميم لأخي عادل الذي تزوج أخت جاسر.. ويخدما في القوات المسلحة سويا...قال:تخيلت أنك مرتبطة به حيث كنتم دائما معا...لاحظت إهتمامه الشديد بك...أنا...أنتِ.....لحظة توقف الزمن....لم يكن للكلام معنى..

حُكِم علينا أن نفترق ...لمجرد تخيل...هل هناك معنى لسؤالي.. لما لم تسألني...لماذا لم تقتحم معاقلي ...لما لم تفسر لي.. تحدثنا...ويعلم كل منا ان مابداخلنا شئ اخر..ألم

شجن...دموع...أسى.....اللقاءات ستُبقي الغصة في حلقي...لأن نهاية اللقاء فراق...وفي لحظة فارقة...قال وهو ينظر داخل بحور عيناي...علياء أحببتُكِ دوما ومازلت أحبك...أحببتُكِ منذ التقينا على سلم العمارة.. ينبض قلبي بإسمك.. أفكر بكِ كأنفاسي....صمتَ وأنفاسهُ لهفىَ...انتفضت..رفضت ماسمعته... قلت لتكن هي النهاية...و ماذا بعد.. لنعطي من أحبونا وعاشوا معنا ...لنخلص لهم بصدق...أسرتي . هي حياتي...زوجي يجتهد ويكد من أجل أن نعيش حياة نسعد بها ...ابتعدت سريعا. لم يكن هروبا إنما انتفاضة للتخلص من أي شجن ... اقتربت وتقربت من زوجي ..سافرت معه.. مرة ومرات...استمعت إلى مشروعه الجديد بشغف..أثنيت على .أفكاره... اهتممت بحالي...بحثت عن كل مايميزه..تغاضيت عن بعض مايزعجني رويدا رويدا وجدت الحب الحقيقي.. أغدق زوجي مشاعره وأحاسيسه .. تملكته السعادة .. يعود للبيت متلهفا ...إبتسامته لاتفارقه...نجتمع مع أولادنا نتسامر ونضحك ونتحدث في أمورنا ..عادت إلي مشاعري أيام طفولتي ...ونسيت شجوني

نهاية...

رحمة

أفاق عزب من نومه عندما ترامى إلى سمعه صوت مؤذن المسجد يعلن ""الصلاة خير من النوم"" اعتدل على حرف السرير وهو يحرك رأسه ينفض آثر النعاس بصعوبة...مد يده في عتمة الفجر ليلتقط سيجارة وعود ثقاب اشعله..ارتعشت يده تراجع حين لمح علي الضوء الضئيل شحوب وجه زوجته "نعمة"" وهي ممددة ..مستسلمة لنوم عميق تحتضن ابنتهما "رحمة" في وداعة.

نعمة ابنة عم محروس الطيب من الصيادين القدامى.. كنا قد تزوجنا منذ سنتين.. نحيفة بيضاء بشوشة ذات وجه صبوح راضية بالقليل.. كنت أحلم بها زوجة لي منذ أن رأتها عيناي ..كنت بالثانوي التجاري ..وهي ابنة العاشرة بضفيرة مجدولة تغطي نصف شعرها بشال قطيفة أخضر ملون ... وقعت بقلبي وشغلتني حينما جاءت بصرة الأكل البسيط وراء ابوها وقد نسيها هذا اليوم ...

بعد أن أنهيت الخدمة العسكرية... كلمت أمي وفرحت بإختياري وذهبت إلي دارها أنا وأبي وإخوتي الرجال الأربعة لخطبتها.. وافق والدها لعلاقته الطيبة مع أبي.

جهزت بيتا صغيرا ملاصق لبيت والداي، كنت بنيته طوبة طوبة من خلال عملي مع أبي في الإجازات أو حتى أثناء الدراسة إذا ماسمح الوقت، وبالطبع مع مساعدة ابي واخوتي الرجال..... بسرير ودولاب وكنبة وحصيرة ومائدة خشبية بأربعة كراسي...تزوجنا وسط فرحة الأهل ..كان دخول نعمة البيت كأن الشمس أنارته..البيت مملكتها ...تنظف وترتب وتفتح الشباك وتسدل ستائر قماش ملون، .وتفرش قماش الكريتون على الكنبة وتغطي الترابيزة... أشعر أنه قصر، تجيد إعداد الطعام، وإصلاح شباك الصيد بمهارة، حتى أنها تعلم زوجات الصيادين حين يجتمعن بالصباح بعد أن يقوم الرجال بسرحة الصيد...صوتها حنون ..نجلس بعد عودتي من رحلة الصيد تحكي لي ماذا فعلت أثناء غيابي وهي تناولني اللقمة .. تزور أبويها باستمرار لتودهم وتلبي طلباتهم ... إخوتها اثنين من الرجال...وتقول أنا أولى برعاية أبواي من زوجات إخواتي.

بجوارها أشعر بالأمان ..رائحتها ..خجلها حين أقبل جبينها وشعرها الفاحم... ياالله أحبها بكل جوانحي.

تحرك عزب على أطراف أصابع قدميه على بلاط الغرفة البارد ، خارجا من الغرفة الضيقة إلى ردهة الشقة، اغتسل توضأ وبدأ يرتدي ملابسه، ليجد زوجته وقد قامت من نومها وقد هيأت له طعاما في صرة، ناولته اياها، قالت في وهن: يجعل صباحك نادي إن شاء الله ربنا يرزقك برزقنا ويطعمك مايحرمك ... هذه الدعوات تقع بقلبه أمانا ويقينا وثقة في كرم الله... قال يارب... عايزة حاجة قالت أعوزك طيب... ابتعد خطوات وهو يتوجه نحو الباب، نادت عليه ، يابو رحمة لاتنسى إلبس الكوفيه الدنيا برد.

أوصد وراءه الباب.. ولفحه تيار هواء بارد...ماأقسى ليال الشتاء، ردد "كل يوم هو في شأن" وهو يعقد الكوفية المهترئة علي رقبته ورأسه، ودس يديه المشققة في جيب سترته...و دلف إلى المسجد الصغير بأنواره الشحيحة، وقف مع
المصلين في خشوع... سلم وحمد ربه، وأخذ يحث الخطى مع أقرانه إلى الساحل....
أصباح الخير، توكلنا على الله .. يافتاح ياعليم يارزاق ياكريم..هكذا بدأت مجموعة الصيادين الصعود على متن المركب..يعملون بهمة ونشاط...يهيئ ويقوم كل منهم بمهامه وقد إنزاح أي اثر للنوم أو البرد، ظل كل فرد في مكانه والمركب يشق طريقه في البحر العاتي ،،الموج عالي ياريس،،... قولوا يارب..
وقف المركب واستكان في بقعة هناك...أرخوا الشباك ...بدأت أسراب من السمك تتجمع وتتفرق وتتلالا كقطع من الفضة على أول ضوء لإشراقة الشمس..انتظر الصيادون..ثم بدأ الجميع في جمع الشبكة في حيوية ولهفة
رزق ربنا كبير..
عكف عزب والمجموعة على تصنيف السمك، و رص السمك في الطاولات التي تتطاير هنا وهناك وجمع ولف الشبكة ...وأخذ أحدهم في إعداد الشاي...بعد تهيئة المصيد والإطمئنان على كمية الصيد....أداروا المحرك إيذانا بالعودة إلي الشاطئ...
أخذ الجميع بالتدخين والحديث بصوت جهير يلقون النكات والقفشات...يأكلون من الطعام الذي جلبه كل واحد منهم بعد أن قاموا بوضع مامعهم على صينية متهالكة نظيفة....

-2

بدأ قرص الشمس ساطعا .. ويتراص ضوءها حلقات ذهبية على سطح الماء الأزرق الصافي ... وصلوا للشاطئ....أخذوا يلوحون لمن يقف هناك... رسا المركب ...بادر التجار بشراء صيدهم ..واستلم """عزب""" نصيبه من السمك والمال وحمد ربه وأخذ يردد "كل يوم هو في شأن"" ، تفرق الصيادون كل في طريقه لبيته...أخذ يعد الخطوات لداره ليري وجه إمراته الصبوح وابنته رحمة والتي أكملت اليوم شهرا...وأخذ يفكر أن عليه شراء جلابية من السوق لزوجته، و حلق لابنته...و...و

مر عام وراء عام وعزب في حالة من الرضا مع زوجته وابنته....واستطاع أن يؤسس ورشة صغيرة لإصلاح وصنع القوارب الخشبية...

كان أخوة ،،عزب،، حين يجتمعون والأهل يسألونه ويحثونه على خلفة الولد...إنت محتاج سند...

جلس إلى والده فقال له: يابني إنت عارف مهنتنا محتاجة الصحة والعافية وإنت محتاج من يساعدك في الكبر...قلت يابا ما أنت عارف أن الدكتورة قالت إن الحمل

التاني ح يكون صعب على ،،نعمة،، وخطر على حياتها... قال: يا سيدي الأعمار بيد الله، كل واحد عمره مكتوب....ثم إذا خايف عليها إتجوز ...أيوه شرع ربنا حلالك...

عدت إلى البيت مهموما منشغلا.

خرجت لصلاة المغرب وعدت ووجدت زوجتي وهي في اجمل صورة تخرج من الدار تستقبلني تحمل صينية الشاي بالنعناع الذي تزرعه بمدخل البيت...جلست على الدكة الخشبية أمام الدار وجلست إلى جواري، وناولتني كوب الشاي... وقالت .. إنت مشغول وبتفكر وقلقان ليه ...أنا عارفة إيه اللي شاغلك ..وبجملة مختصرة قالت..أنا بأقولك إتجوز وأنا راضية...

كيف وأنت كل حياتي.. احتضنت يداها وهي ترتعش وتبكي...وتقول أنا عيزاك مبسوط إتجوز وخلف ..أنا ..أنا... وتوقفت الكلمات..

لم أستطع سوى أن أطبطب عليها وأسند رأسها على كتفي ...دخلت البيت عند سماع بكاء رحمة.

-3

اختارت أمي بنت عم سليمان الصياد وهي أرملة شابة ولهم دار واسعة..وكانوا يسكنوا على أطراف البلد...تزوجنا.

كنت أخرج لسرحة الصيد وأعود إلى بيتي مع نعمة...وأخرج من عندها وأذهب إلى رحلة الصيد ثم إلى بيت فتحية...وهكذا مزقت نفسي مابين البيتين.

كانت نعمة حريصة على زيارة أبواي وبرهما... والعجيب أنها زارت فتحية تهنأها على الزواج وحملت معها بعض الاطعمة التي صنعتها بايديها...وتزورها بمودة ومعها ابنتنا رحمة.. مر الوقت ..والكل ينتظر... ولا أي علامة على حمل فتحية....شهور ... سنة..

كان عزب يعامل زوجته بكل طيبة ..و يردد دوما ،،،كل يوم هو في شأن،،،،لاندري أين هي حكمة ربنا ....لنصبر وندعو ربنا يكرمنا ..كلما لامت فتحية نفسها أنها لم تحمل بعد.

عدت من سرحة الصيد محملا بمشتريات لنعمة وابنتي ... ودخلت الدار، وهما يستقبلاني بمحبة واشتياق...جلسنا لنأكل صيادية بعيش مخبوز بفرن البيت...قالت نعمة وهي في سعادة غامرة ..مبروك ياأبو رحمة قلت خير يارب ..فتحية حامل...قالت إن شاء الله ربنا يراضيها...ده أنا حامل... توقفت عن الأكل...ليه؟ إزاي؟ انتي عارفة ان ده خطر عليكي...قالت إن شاء الله ربنا يسترها...الدكتورة حتأخد بالها عليا... وتمر الأيام بسلام يارب.

مرت أيام الحمل...بما فيها...وولدت نعمة وانجبنا "رضا"...الحمد لله رب العالمين.
كان عزب فرحا ومبتهجا ...الكل يهنيه ويبارك له ويدعو له...كانت فرحة إخوته وأبويه وجميع الأهل كبيرة....حتى فتحية جاءت لتبارك وتساعد نعمة... وظلت معها بالبيت حين خرجت لسرحة الصيد.
عدت إلى بيتي...بعد يوم صيد طويل مرهق ...اقتربت من الدار ..لاحظت عددا من النسوة من الجارات يتشحن بالسواد...انقبض قلبي وحثثت الخطى مسرعا...ابنى...اه ..ابني لقد ولد ضعيفا ...جاء بعد كام سنة زواج...ولادة عسيرة... ابني... صرخ عزب بداخله ..دخل البيت مهرولا.. ولكن اخترق سمعه صراخ رضا
لقد... لقد ماتت "نعمة"" زوجته.. بعد أن ودعته فجرا.
احتضنت فتحية الصغير الرضيع وتشبثت رحمة بجلبابها وهي تنادي عليها خالتى فتحية ..أصبحت فتحية أما للطفلين...
احتضن عزب ابنته رحمة وابنه رضا و هو يبكي وينظر إليهما ويردد "كل يوم هو في شأن".

نهاية...

القبعة

سافرت وأسرتي إلى احد شواطئ البحر الاحمر التي تتميز بالهدوء والجمال... تتراص شماسي بالوان زاهية ومقاعد مريحة ورمال ذهبية ناعمة ونخيل البلح سامقة.... كنت بمفردي على الشاطئ استمتع باسترخاء ارقب الشمس الساطعة تغمر باشعة من ذهب صفحة البحر الساكن...البحر مابين مد وجذر كحال البشر....يكمن بداخله أسرار.....كنت أجلس في سكينة بمقعدي المريح ممدة الأرجل... ذراعاي مرتخيان ...حالة من الكسل اللذيذ... مرتدية ثوبا رقيقا فضفاض ملون بألوان قوس قزح ....وارتدي قبعة من القش ونظارة شمسية قاتمة ...سرحت ببصري مع الأفق..لا أسمع صوتا سوى إنكسار الامواج على الشاطئ.

حين اقترح والداي بعد فترة عصيبة مؤلمة مررت بها..أن نسافر نستمتع ونغير ...لم أرفض.

ثاني يوم دخل أبي من خلفه أمي حجرتي وهما في سعادة وأبي يلوح بتذاكر سفر ويقول حجزت طيران للسفر إلى الغردقة ..رحلة صيد وفسحة واستمتاع جهزي نفسك يا رانيا...كان أخي قد أنهي دراسته بكلية السياحة ويعمل بأحد الفنادق الكبري هناك.

سافرت أنا ووالداي، ويعملان في أحد البنوك الاستثمارية، أما أنا فكنت أعمل مرشدة سياحية في شركة مرموقة لايتعدى عمري أربعة وعشرين عاما.. أجيد بجانب اللغة الإنجليزية والفرنسية اللغة الإيطالية ...يقولون أني جميلة.. بشرة خمرية ، شعر منسدل كستنائي، عيون عسلية ذهبية ، جسم ممشوق، عملت مباشرة بعد تخرجي من كلية الاداب الارشاد السياحي ، كنت اعشق عملي..وأجيده.. تنهدت بشجن وأنا استرجع ذكريات حاولت أن أنسى ولكن كيف.. مرت سنة ونصف

وفي يوم إتصل بي مدير الشركة الأستاذ شادي وهو ابن صاحب الشركة ...وقال ياآنسة رانيا ..تعالي على مكتبي .. دققت الباب الزجاجي ودخلت ..وكان معه ضيف... قال وهو يقدمني إليه الآنسة رانيا من أكفأ المرشدين ، شريف المنصوري رجل الأعمال وصديق الدراسة... أهلا وسهلا..رد كل منا ...قال شادي ، شريف معه ضيوف مجموعة من المستثمرين الإيطاليين وعايز برنامج سياحي يومين ...بدءا من غد.... قلت حاضر يكون جاهز .. وأعرضه على حضرتك مستر شادي ...قال الضيف الصامت والذي يراقبني بدقة...بعد إذنك ابعتي لي البرنامج على الواتساب لما يكون جاهز...تمام.

استأذنت ..عكفت على إعداد المطلوب وأرسلته لمستر شادي وكذلك للعميل...أرسل الأخير موافقته... في صباح اليوم التالي اصطحبت المجموعة ومعهم شريف ..تجولنا بالأماكن السياحية المحددة في البرنامج...في نهاية اليوم الثاني انضم مستر شادي إلى المجموعة على عشاء فاخر في فندق يطل على أهرامات الجيزة.

أثناء تناول العشاء .. اقترب شريف وشكرني على الصورة المشرفة والصحبة المميزة... أنهينا اليوم ...وعدت إلى عملي كالمعتاد...اتصل بي شريف صباحا ...وقال ممكن نتقابل...قلت لماذا...قال نخرج نتعشى سوا...أسفة...مع

السلامة..وأغلقت السكة...ده مستظرف نفسه...أيوه وسيم للغاية رياضي غني ..والده لديه مصنع للأثاث بايطاليا ..ويقوم شريف بالتصميم حيث تخرج في كلية الفنون التطبيقية..
مرت أيام..وشهر...ووجدت شريف يتصل بي ويقول ...ممكن تعزميني على الشاي في البيت... حددي ميعاد أقابل الوالد.. حضر بالفعل وطلب يدي للزواج.. قال لديه دور جاهز في فيلا والده بالتجمع... ويقضي مع والديه حياته مابين القاهرة و روما...وافقت عليه.. لم يكن لي اي شك في أني سأعيش معه العمر كله في تفاهم وتناغم وفرح...وافق والدي عليه حينما رأي إقتناعي به ورغبتي في الإرتباط به.. مع قلق امي في بعدي عنها.
أقام شريف فرح بهيج بأحد الفنادق في حضور والديه وأسرتينا وصديقاتي
سافرنا بعد أسبوع إلى روما بشقته الأنيقة .. كنا نخرج للتنزه والسهر
والتسوق..وزيارة والديه ..يخرج لمكتبه بالمصنع ويعود للعشاء متلهفا سعيدا..كان لدي من يقوم بالخدمة بالبيت وكنت أحرص على طهو طعام شهي .. والإهتمام بنفسي.
بعد ثلاثة شهور ...بدأ يتغير ...يخرج للسهر بمفرده مع الأصدقاء ..يعود
متأخرا..يقوم للعمل ظهرا.. يعتذر عن العشاء ..تحدثت معه بهدوء .. واقتربت منه واهتممت بكل التفاصيل التي تسعده... ولكن أبدا.. ظل هكذا... لجأت إلى حماتي التي كانت تعاملني بكل محبة .. رأيت في عينيها نظرة إشفاق على حالي وانا أحكي لها ، قالت اصبري إن شاء الله يرجع زي أول الجواز .. ضروري نكلمه أنا وأبوه...
واتضح أنه لم يتغير وإنما عاد إلى طبيعته .. الأصدقاء والسهر والشراب..كنا في بيت واحد ولكن بلا رابط بلا حديث ..كنت أخرج بالصباح الباكر للجري ، أعود للافطار وأجلس أمام التلفاز وأعمل على التواصل مع أمي وأبي وأخي...وأظل ساعات بمفردي...لم أحكي لأهلي أي شئ، وظللت أحاول مع زوجي... فكرت أشغل نفسي بالبحث عن عمل ولم يكن صعب الحصول على عمل بإحدى شركات الطيران الداخلي..أخبرت شريف برغبتي في العمل لم يهتم.. قال على كيفك..إنت
حرة...استمر الحال سنة .. وأنا أعيش وحيدة....حزمت رأيي وفاتحته في
الإنفصال...ح أنزل مصر..بالفعل أخذت قراري وجلست إلى والداي وقصصت لهما ... طلب والدي والد شريف والذي أبدى أسفه وحزنه لإبتعادي عن ابنه ..ولكن بالفعل تم الإنفصال ..ولم يحاول ولم يهتم..كأني سحابة مرت على يومه ، وانقضت...قبعت في حجرتي بمنزل أسرتي وغمروني بالحنان والحب ...كنت حزينة مصدومة في حالة من الإرهاق ... مرت شهور .. هدأت واعتبرت أنها مرحلة وعدت بكل مافيها.

-2
سافرنا ..وضعنا حقائبنا .. وفي صباح اليوم التالي باكرا خرج أبي يصحبه أخي في رحلة صيد ينظمها الفندق...ظلت أمي في الفراش لالتواء كاحل قدمها واحتاجت للراحة وقالت لي إنزلي يا رورو على البحر شوية ...أنا ح اتفرج على المسلسل.

أخذت في هز رأسى وكأني أبعد هذه الذكريات ...في هذا الصباح المتألق ..وأنا مسترخية على الشاطئ الرحب مع هبوب نسيم ...طارت قبعتي التي اعتمرها...طارت بعيدا... ابتسمت ..تابعتها وهي تبتعد ... رتبت خصلات شعري .ببساطة... تركتها...لم أكن أرغب في الحركة وتغييرحالتي .....و استكنت مكاني رفعت نظارتي عن عيناي لأتحقق من شاب وسيم يرتدي سروال قصير وفانلة صيفية بيضاء يلوح بيده ويتحرك بإتجاهي...نظرت يمينا ويسارا لعله يشير إلي أحد غيري... ولكن لم يكن هناك علي الشاطئ غيري..... اقترب مني وقال... قبعتك؟؟ أأه .. نعم... شكرته... مر من جواري ... وعاد بخطوة إلى الخلف .....بادرني... إنت في أجازة.... وجدتني أرد ببرود...لا....قال أنا كابتن حسام .. هناك رحلة إلي أحد الجزر ينظمها الفندق إذا أحببت أن تشاركينا ..وفرصة للصيد ... بعد ساعة سنكون عند ...المرفا.. ..وتركني.

اكملت استرخائي....صعدت ألي غرفتي..أخبرت والدتي عن الرحلة قالت روحي ياحبيبتي، اتبسطي.. خدي بالك على نفسك.

بدلت ملابسي...ارتديت بنطلون تحت الركبة من الجينز وبلوزة قطنية. قصيرة وردية بزهور صغيرة بيضاء... شنطة وقبعة من الخوص لهما شريط ستان وحذاء خفيف رياضي بنفس اللون الوردي.....تمشيت إلى المرفأ، قابلني عم فتحي باسما ويخدم أي مجموعة على المراكب، وقال هل تحبي أجيب لك صنارة للصيد ..سألت هل ممكن؟ قال نعم.. غاب لحظات واحضر لي صنارة طويلة بماكينة وبرطمان صغير فيه طعم للصيد.

تجمع نحو إثنا عشر فرد بينهم أربع بنات..وأنا معهم.

صعدنا علي متن يخت أبيض أنيق ...انطلق بنا وطيور النورس تلاحقنا وبعض من طاقم اليخت يطعمونهم بسمك صغير يقذفونه ..منظر بديع الجو رائع ...كان حسام معروفا ومحبوبا من الجميع علي اليخت ..يرتدي بنطلون قصير وقميص مفتوح الصدر نصف كم وحذاء رياضي كلها بيضاء اللون..نظارة شمسية وساعة فاخرة وصلنا إلى الجزيرة الحالمة ونزلنا تباعا.. انطلق البعض للسباحة بالقرب من الشاطئ... وتجهز البعض للصيد ..قال حسام في مرح من يصطاد عليه الصعود إلى هذه الهضبة القريبة...وتحرك حاملا أدواته...بالفعل تحرك خمسة أفراد وأنا أحمل الصنارة ولا أدري ماذا أفعل... بدأت المجموعة في الجلوس علي كراسي صغيرة هنا وهناك استعدادا... قال من خلفي هذه اول مرة لك في الصيد قلت أيوه ..مش..

مش عارفة.. أعمل إيه حتى.. قال مش مشكلة ... شرح إستخدام الصنارة بهدوء... ببساطة ووضوح...ساعدني في أول إنزال للصنارة ومعها الطعم...وضع لي كرسيا صغيرا لكي أرتاح وقال أهم حاجة في الصيد الصبر...تركني...وترك سلة بها مشروب وماء مثلج.

وراح يسبح مع الآخرين... جلست أرقب حركة الصنارة وأنا فرحة وأشعر كأن الطفل بداخلي يقفز من المتعة باللعبة...بعد وقت...شعرت بحركة صنارتي، وقفت وأنا اجمع الخيط في لهفة.

وجدته بجانبي وهو مبلل بالماء قال إسحبي بهدوء لاتتعجلي...مرحي مرحي حظ المبتدئين لقد كانت سمكة بديعة حجمها متوسط ...سمعت برافو برافو ممن يقفون للصيد...مر وقت واصطدت سمكة اخرى.
تجمعنا ...وجمعنا كل السمك الذي تم اصطياده وقام طباخ اليخت بإعداد غداء ..تغدينا وتبادل الجميع النكات والأحاجي والغناء..وحان وقت العودة للفندق
عدت إلي غرفتي ..لأنظر في المرآة وقد أخذ وجهي ورموشي لونا ذهبيا وأحمرت وجنتاي شعري لامع شفتاي وردية...أحسست بالنشاط والتفاؤل.

-3
كان الليل قد زحف حثيثا....عاد أبي وأخي من رحلتهما ...تحمسنا جميعا ونحن نحكي كل مادار... ضحكنا من قلوبنا.. تحسنت أمي ... واقترح أخي النزول للتمشية وشرب الشاي بالنعناع في أحد الكافيهات ...سبقنا رامي أخي ليحضر سيارته ونحن على ردهة الفندق وجدناه يسلم بحرارة على كابتن حسام... اتضح أن الكثير يعرفه .. سلم علينا جميعا وأصر على إصطحابنا في جولة...ركب أبي وأمي معه في سيارته وركبت مع أخي بسيارته... وعزمنا على الشاي في كافيه على نمط عربي .. فرقة موسيقى شرقية صغيرة ... أجواء مرحة ... عدنا إلى الفندق بعد السهرة
..في صباح اليوم التالي عدت مع والداي إلى القاهرة.
عدت وأنا أشعر بتغيير وحماس .. بدأت بالبحث عن عمل... العناية ببشرتي وشعري...بحثت عن كتبي... عدة الحفرعلى الخشب هوايتي المفضلة... يوم بعد يوم ...بدأت اعود لنفسي... عن فرحة أسرتي حدثوا ولا حرج.

أيام مرت ... بعد عودة أبي من العمل تغدينا.. قال جاءني بمكتبي كابتن حسام.. تفاجأت... كان بالقاهرة لإنهاء بعض الأعمال و مر علي للإطمئنان... عزمته على الشاي معانا في الثامنة مساء.
حضر حسام يرتدي بنطلون وقميص بدون رابطة عنق رمادي وجاكت خريفي كحلي حذاء وحزام جلدي بني.. قمة في الأناقة.. قدم لأمي طبق من الحلويات الشرقية التي تعشقها.
جلسنا وتحدثنا وفي وسط حديثنا...إتجه بالكلام إلى أبي و قال يا عمي أنا من أسرة بسيطة توفى والدي وأنا بالثانوية العامة...بعدها بسنتين توفت أمي.. أصبحت مسئولا عن أخين وأختين بالإعدادي والثانوي... ربنا قدرني بمعاش والدي ومدخراته من عمله عدة سنوات بالكويت...اغلقنا على أنفسنا وقررنا أن نكمل دراستنا ودعم بعضنا البعض...كنت بكلية التجارة..تخرجنا جميعا في الجامعة...اخذت دورات تدريبية للغطس نعمل بالصيف أنا وإخوتي الشباب كمدربين معتمدين للغطس، تزوجت إحدى أخواتي والثانية تستعد للزفاف الشهر القادم.... لدي محل للملابس والأدوات الرياضية والصيد والغطس...كما أدير الكافيه .. وأتمنى على الله أن تقبلنى الآنسة رانيا زوجا لها.

قمت منتفضة من مكاني أسرعت إلى غرفتي بكيت بكيت بحرقة... دخل أبي ورائي .. أخذني بحضنه بحنان...قال ليه بتعيطي ياقلبي... قلت يا أبي إنه لايعلم قصتي... قال أبي.. لا ياحبيبتي لقد حكيت له كل شئ بالصباح لما زارني بمكتبي طالبا يدك بعدها بأسبوع حضر ومعه أخوته والأهل ...اصطحبني أخي من غرفتي إلى الصالون وانا ارتدي فستانا باللون الوردي.

ألبسني حسام خاتم الخطوبة وأنا اشعر بفرحة وسعادة تغمرني ..مرت شهور .. تعرفت على حسام أكثر وأكثر وتعلق فؤادي به.. يحبه والداي كإبنهما..غمرني بالحنان والامان والحب والدفء.. نقضي شهر العسل ونكمل حياتنا بالمدينة التي شهدت تعارفنا.

نهاية...

أهلك لاَتُهُلك

أهلك لاَتُهُلك ..هي ماكان والدي يرددها دائما ويحفزنا للترابط والركون إلى الأهل سند وضهر ..معاني فعلية.. ربانا أنا وأخي الأصغر وأختي الوسطانية على المحبة والعطف والطاعة والاجتهاد..كنا في سنوات دراسية متتابعة.....امي هي الروح تجمعنا حولها بحنية وسخاء.. بسيطة هي حياتنا نسكن في بيت في باب الشعرية ويعمل ابي في الخدمات المعاونة ،، فراش،،، في أحد إدارات المطار.. وبعد المغرب في قهوة على النصبة ..كان حريصا على تعليمنا ويتابع دراستنا، كان بعض المدرسين من جيراننا يعطونا دروس التقوية مع طلبة لهم بدون مقابل محبة لأبي.

أخي حسن كان خفيف الظل كثير الحركة يلعب الكرة مع ولاد الجيران..ويرجع البيت وأمي تقوله يابني أقعد ذاكر لك كلمتين.. فكان يتدلل عليها وتقوله أيوه أيوه كُل بعقلي حلاوة... نتجمع على لقمة حلوة من إيدين ست الحبايب وحنان أختي تساعدها .. نتكلم ونسمع ونضحك.. كنت وأخي نعمل في الإجازات بمحلات الملابس ،الهدايا و الأدوات المنزلية.

مرت بنا الايام و لما كانت حنان أختي في سنة تانية بكلية الحقوق تقدم لها مدرس وهو إبن خالتي التي تعيش بمحافظة الشرقية للزواج منها بالفعل تزوجا وسافرا إلى ليبيا واكملت دراستها انتساب.

أنهيت دراستي وأديت الخدمة العسكرية وكذلك فعل حسن أخي بعدي بسنتين.

عملت في شركة إتصالات و أخي في شركة تأمين على الحياة.. ثم عملت في أحد البنوك لتحصيل الديون.

فاتحتني أمي في الزواج.. والتفكير في بناء أسرة...قلت بدري ياأمي.. طيب أحوش قرشين ، أعرف افتح بيت.

خرج أبي إلى المعاش وجمعنا حوله.. قسم ماحصل عليه من صندوق الزمالة ..قال خد ياحسين إنت وأخوك حسن تلتين الفلوس و حأخلي التلت الباقي للزمن.

جلست مع أخي نفكر كيف نستثمر هذا المبلغ.

قال نتجوز .. ضحكنا.. قلت كل شئ بأوان.. فكرنا مليا في عدة مشروعات واستقرينا علي محل لبيع الملابس الجاهزة الرجالي والأحذية.

بحثنا عن محل.. في شارع رئيسي .. صرفنا علي ديكورات جديدة ملفته وبحثنا عن مصانع كمصادر للملابس..كنا نعمل معا بالبداية حتى استقر العمل وعرفنا الزبائن..كنت أقف بالمحل من التاسعة وحتى الخامسة، أعود البيت.. ويستلم أخي وحتي الحادية عشرة ليلا.

-2

عملنا بجهد سنة وراء سنة استقر بنا الحال..
وفي يوم أثناء عودتي للبيت كانت هناك فتاة تحمل عدة شنط و أكياس هدايا تمشي على استعجال..فلت أحد الاكياس ولم تنتبه.. ناديت ياآنسة ..الكيس ..ياانسة التفتت على صوتي ونظرت لما تحمله، وأدركت أن الكيس يخصها.. مددت يدي أناولها خطفته وقالت بإقتضاب شكرا وأكملت مشوارها.. تابعت طريقي وصلت البيت..
.. وقبل أن أخلد إلى النوم تذكرت ماحدث ووجدتني أضحك.
مرت ايام صادفت نفس البنت تمشي مع مجموعة من البنات والأولاد في نفس الإتجاه.. مشيت وراءهم حتى دخلوا إلى مركز شباب المنطقة... إسمها ،،منال،،عرفت أنها أخصائية إجتماعية بالمركز، وتشرف على النشاط الإجتماعي..لفتت نظري وخطفت قلبي وهي تتعامل مع الأعضاء والأطفال الطلائع.. تسكن بحي العباسية..والدها موظف إداري بمديرية التعليم ..لها أخ واحد مهندس زراعي يكبرها .... عزمت على طلب يدها..فاتحت والداي ..وذهبنا إلى بيتها بعد أن حادثتها ووجدت منها قبولا.. اسرة طيبة مترابطة.. طلبها والدي وقال: طلباتكم.. رد والدها ياحاج اللي يقدر عليه حسين ونكمل معا ماينقص..استأحرت شقة صغيرة وفرشنا غرفة نوم وغرفة جلوس..تزوجنا في حفلة أسرية جميلة.
بعد شهرين اتصل علي والدي للحضور.. قابلته اشتكى لي حال حسن. كان ير جع متأخرا..عصبي.. بدأ في التدخين.. على غير عادته. تحدثت مع أخي
قال: بصراحة فيه بنت عجبتنى أول ماشفتها وهي بتشتري من المحل.. كلمتها وعملت لها تخفيض .طلبت تليفونها بحجة أننا نرسل لها كل جديد. جاءت بعد يومين تغير ماأشترته..اتكلمنا كذا مرة وخرجنا سوا عدة مرات.. عجباني جدا ومش حأقدر أبعد عنها.
.قلت: طيب نتقدم نطلب يدها
قال: ما هي دي المشكلة مش مرسياني على بر .. مش فاهم إذا عيزاني ولا لأ
قلت:طيب عرفت أهلها مين وعايشين فين
.قال كل ده مش مهم ..انا عايزها
بعد أخد و رد.. وافقت على إستقبالنا لخطبتها. ذهب أبي معه... وعادا.. ونحن ..ننتظرهما قلت:إيه نقول مبروك
أبويا قال يابني الناس دي ماتنفعناش، أبوها لم يتكلم حرف، أمها اللي بتقول وتتشرط.. عندها أخ يعمل بمكتب تأجير وتزيين سيارات وشكله وطريقة كلامه مش مضبوط.

ساءت حالة حسن، اقنعت والدي بأن يتركه يجرب ويكون مسئول عن اختياره
قال حسن : محتاج بجانب القرشين اللي محوشهم دعم.. اعطته أمي جزء من مدخراتهم بدفتر البريد، وفعلت كذلك، وأرسلت حنان نصيب.
اشترى شبكة ذهب، وكان يصرف ببذخ على الهدايا والخروجات.. نصحته بالإسراع في الزواج.. حتى يرتب حياته

بالفعل تزوجا في شقة إيجار جديد وفرشناها بما استطعنا..بعد كثير من المشاكسات من حماته..وإستنزاف كل مدخرات والدي.
جاءني حسن ليطلب أن يعمل في الفترة الصباحية حتى يتفرغ لزوجته بعد الظهر... .. على الرغم اني كنت اعمل في الفترة المسائية كمحاسب في احد المولات.... وافقت اشتكى عمال المحل من أنه يأتي متأخرا وكثيرا لايحضر .. سألته
.قال: اعذرني بنكون سهرانين عند جماعة أصحابنا والصبح بأكون تعبان
تحملت الوضع على أمل أن يلتزم.
بعد شهرين جاءني خجلا وقال :أنا عايز نفك شراكتنا بالمحل وتديني نصيبي في الفلوس رأس المال.
قلت طيب منين ماأنت عارف.. اللي جاي على أد اللي رايح.
قال أرجوك اتصرف... أنا ح أعمل مشروع وحيساعدني أخو ،،شاهندة،،مراتي تكلمت مع أبويا... كان حزينا للغاية.
اقترضت مبلغا وضمني فيه حماي و أخو ،،منال،،.. أعطيت أخي المبلغ... تباعدت زيارته لوالديه ولم يتواصل معي ولايرد على إتصالاتي.
افتتح محلا للملابس والمستلزمات النسائية في وسط البلد .. يديره وأخو زوجته يساعده.. عزل من بيته...انقطع عنا... كنت أمر عليه .. أطمئن ... لايتكلم .. يسأل ويطمئن على والداي ... ويكتفي من الحديث.... شهور عرفت أنه إنتقل من هذا المحل ولا أعلم إلى أين.
تألم والداي كثيرا..ولم يتوقفا أبدا عن الدعاء لحسن بالهداية..ولنا جميعا
مرت بنا الحياة أصبحت أواصل النهار بالليل حتى أقضي ديوني، وأصرف على بيتي.. خمس سنوات حتي سددت ديوني كاملة .. زاد رزقي بفضل من الله ثم دعوات والداي والعمل والجدية والامانة والمعاملة الحسنة.
فقدنا السند توفى والدي..تركت شقتي وسكنا مع والدتي ترعانا وتشعرنا الأمان .ونرعاها..استقرت حنان أختي في شقة بناها زوجها في بيت زوج خالتي.
زوجتي بارك الله فيها كانت بمثابة الابنة البارة لأمي.. تدبر البيت ولاتشتكي.. صابرة مؤمنة بأن الله سيفتح علينا من حيث لانحتسب.
رزقني الله بإبن ،،حسن،، ست سنوات و ابنة ،،حورية،، ثلاثة.

-3
النهاردة اول يوم رمضان ..عدت للبيت ..معايا فوانيس للاولاد..أمي و زوجتي بالمطبخ يحضرا الإفطار لنا و وجبات لمائدة الرحمن للمسجد المجاور.. قبل المدفع حملت العلب والعصائر إلى المسجد، وعدت رتبت السفرة ..جلسنا ودعونا لأبي رحمه الله اول رمضان بدونه... سمينا الله مع أذان المغرب.. دق جرس الباب... ذهب إبني يفتح وعاد وقال (تيته واحد غلبان واقف على الباب).. قامت منال وأحضرت وجبة جاهزة.. ناولتني إياها... فتحت الباب ومددت يدي.. فإذا به اخي الغالي حسن... في قميص وبنطلون كالح وحذاء بالي وشعر أشعث..أخذته بحضني وبكاؤنا ونحيبنا يذيب الحجر....قامت أمي وبكل شوق السنوات احتضنته وهو يبكي كطفل.. أقعد أقعد يا حبيبي.. قالت أمي وهي ممسكة بيديه... قال حسن معي ضيف... قلت أهلا وسهلا.. فتحت الباب وإذا بطفل صغير لايتجاوز أربع سنوات يقف بجانب الباب... قال حسن انه رؤوف ابني.

انضم رؤوف إلى أولادي وجلسنا جميعا نأكل ونحن ما بين متعجب وغير مصدق لمتنا، وما بين فرحة لقاء وشوق ولكن العديد من الأسئلة تدور في أذهاننا... أمي كانت في حالة يصعب وصفها ..تبكي وتبتسم وتمد يدها باللقمة في فم حفيدها الصغير تقول كل ياحبيبي أنا كنت بأكل أبوك كده... ويبكي أخي وهو يأكل ويدعو لها.

دخل الأولاد إلى غرفتهم ... وجمعت زوجتي منال الأطباق ووقفت تعد الشاي مع الكنافة...جلسنا امي وأنا وأخي على الكنبة... وبدون مقدمات قال أخي... أنا ورؤوف من يومين بنام بجوار المسجد ، بناكل اللي بيجود به الناس علينا... وقبل المغرب ربنا قواني وعزمت أني أجي وأطلع البيت ... وبكى من قلبه ..وإرتمى بحضن امي.. واحتضنتهما سويا.

دخلت منال بصينية الشاي وقالت وحدوا الله ... إن شاء الله ربنا ييسر.

قال حسن... طلبت شاهندة أن اترك محل وسط البلد ونؤجر بمول شهير بالتجمع ليكون على مستوى، وبالطبع قمت بتأجير شقة مفروشة بنفس المكان وبدلت السيارة لتكون متناسبة مع أوضاعنا الجديدة... كل ذلك قروض من البنوك.. كنا نكسب .. ولكن مصاريف البيت والسهرات والسفر والهدايا والعزومات المتتالية تكلفني الكثير..بجانب مصاريف وبذخ أخيها.... شهر وراء شهر والديون تتزايد ..لما خلفنا رؤوف تكلمت كثيرا مع زوجتي إن علينا إلتزامات، ونمسك أيدينا، ونحاول نقلل من أشياء يمكن الإستغناء عنها... كان ردها أن العمر نعيشه مرة واحدة .. أنا مش حأغير حياتي.. أنا مبسوطة كده...طيب والديون .. قالت اشتغل أكثر ...وجلبت من تساعدها

في تربية إبننا... وقررت أن تنزل المحل تديره... فترة الصباح وحتي الرابعة مساءا مع أخيها... وأتولى أنا الفترة المسائية ... أعود فأجدها مستعدة وجاهزة للسهر..

تدهورت صحتي ...سهر شبه يومي وتدخين بشراهة ومصاريف... ساءت علاقتي بشاهندة.. لم أعد اتحمل إهمالها البيت وطلباتي، حتى رؤوف تركته تماما للمربية.

كونت شلة من سيدات هذا المجتمع الجديد... وفكرت في مشروع،،،بيوتي سنتر،،، بدلا من الملابس الجاهزة رفضت بالطبع..طالبتني بالدعم المادي لمشروعها..قلت بيعي الدهب واتصرفي ... طبعا رفضت تماما.. ضاقت بي الدنيا... وفي صباح أحد الأيام جمعت كل ملابسها ومجوهراتها..ورحلت..طلبت الطلاق لأنها لم تعد تطيق الحياة معي..أيدت أمها وأخوها ماطلبته.. بموجب التوكيل العام الذي كتبته لها في لحظات الإستسلام والخضوع لها..أنهت التعاقد مع إدارة المول بمقابل مادي وباعت البضاعة بالمحل جملة لأحد التجار سددت قيمة الملابس وأخذت ماتبقى من الاموال...بدأت في تأسيس نشاطها والذي إتضح لي أنها كانت تعمل في أحد صالونات السيدات..قبل ان تتعرف علي.. وأنها كانت تخطط مع صديقة لها بالإيقاع بي...في بداية الأمر ...ونجحت فيه بجدارة... أكملت باقي الشهر بالشقة المؤجرة وخرجت منها مع رؤوف بشنطة هدوم صغيرة ...لم أكن أدري إلى أين أذهب وماذا أفعل وبقينا نجوب بالشوارع يومين جنب البيت ..وكلمة أبي ترن في أذني ،،أهلك لاتُهلك،، أنا مش مصدق إنه مش موجود ..مش مصدق إني ماكنتش في وداعه...الدموع والشجن والآهات والنحيب.

قالت أمي ،،ربنا يرحم أبيك... كان يدعو لك بإستمرار .. لاتحمل هم.. ربنا كريم... قوم إرتاح شوية وربنا يحلها.

اغتسل أخي وأحضرت ملابس نظيفة .. وكذلك لإبنه... وناما في هدوء بغرفة أمي...في الصباح....اصطحبت زوجتي وأولادي إلى شقتنا الصغيرة المغلقة..وظل أخي وإبنه مع أمي.. وعاد ليعمل معي بالمحل بكل جهد وإستقامة.. كنا نعمل معا ... ونعود للإفطار الذي تعده زوجتي مع أمي بعد العصر.

استقر بنا الحال ...وفتح الله علينا أبواب الرزق من حيث لانحتسب...

نهاية ..

أحلام حياتك

-1
بعد تخرجي في كلية الزراعة عملت بعد أدائي الخدمة العامة، ثم بالتدريس في مدرسة إعدادي لمدة سنة دراسية، اتعينت في أحد المؤسسات الزراعية بوزارة الزراعة .. بأحد معامل زراعة الأنسجة وتكاثر نباتات الزينة .. عشقت العمل بجانب أنه مجال تخصصي إلا أن العمل الفعلي والدورات التدريبية ... وضعتني على طريق متميز.. رؤية إبداع الله في خلقه حينما ترى من جزء يسير من النبات تتخلق لنبدأ حياة نبات كامل...جعلني استسلم لقدرة الخالق.
عملت بجدية ومثابرة .. تودد إلي أحد زملاء العمل وطلبني للزواج .. لم أمانع فكانت فكرة الزواج منطقية حيث لم يشغلني أن أعيش فترة تعارف وخروج وعواطف كما يشغل بعض الفتيات.. أسرتي كانت محدودة المعارف متحفظة ولكن بغير تعصب أو إغلاق ..والداي بمجال التعليم وأخي الذي يكبرني بعدة سنوات محاسب بشركة صناعية كبرى.
تقدم زميلي المهندس الزراعي أحمد فاضل لخطبتي .. وافق والدي بعد ان سأل عن أسرته .. كان والده يملك بيتا من ثلاثة أدوار .. الدور الاول عبارة عن شقتين مؤجرين.... والثاني بكامله للأسرة ..والثالث كان مبني شقة واحدة .. للدقة غرفة وصالة ومنافعهم... كانت مخصصة للضيوف من بلدهم .. اقترحوا أن يتم الزواج بها ..بشكل مؤقت حتى يكمل حماي المقاول بناء عمارته في أحد أحياء الجيزة ....ومخصصة لأولاده الأربعة من الشباب ومنهم إبنه المهندس أحمد
لم يرحب والداي بفكرة زواجي في بيت أسرة تجنبا لتدخل الاهل أو الإختلافات الواردة... ولكن لأني من جيل الثورة وفكرة الإشتراكية والكفاح حتى نستقر ونصل إلى مانصبو أليه كانت مسيطرة على تفكيري.. استطعت تحويل فكر والداي بهدوء تمت خطوبتي .. وسط أهلي والزملاء بالعمل وعائلة أحمد .. أخذت مهري وأكمل والدي واشتريت موبيليا متينة راقية ..وجملت الشقة بتابلوهات صنعتها بنفسي، والسجاد والستائر بألوان متناسقة ..وحرصت على وجود النباتات بانواع متعددة في الرووف أمام الشقة.
وبعدها بأشهر تزوجت.
شقتنا رغم صغرها كنت أحسها جنة صغيرة .. الإستقرار الأسري عقيدة لدي كما رأيتها في بيت والداي والرحمة والتعاطف والاحترام والحب الصافي... لذا كنت اتصرف على سجيتي أسعد زوجي وأهيئ كل مايحبه، وأطيعه .. كان سعيدا للغاية ..كنا نذهب للعمل معا ، كان في إدارة أخرى بالوزارة .. ونتقابل عند الإنصراف ونعود للبيت ، يدخل ليرتاح ساعة كانت كافية لأعداد طعام الغداء ... نتغدى .. ..ويجلس أمام التلفاز ونشرب الشاي أو الفاكهة.
ننزل عند حماتي .. نتكلم ونضحك واساعدها بالمطبخ إن إحتاجت .. علاقتنا جميلة .. حماي معظم الوقت لم يكن بالبيت.. وكانت حماتي كثيرا ماتشتكي لي من تعامله الفظ

معها وأسلوبه الشديد القاسي في كلامه، رغم أنها تفعل ماتستطيع في تربية الأربع شباب، وبنتين متزوجات..وجميعهم تخرجوا في الجامعة.
ويعملوا بأماكن مختلفة .. اثنين من الشباب يعملون مع حماي في المعمار ..والثالث يدير الحسابات..زوجي كان أصغر الاخوة..وأكثرهم طاعة ورضوخا لوالده، وحماي مرتبط به ولايمر يوما إلا ينزل ليطمئن على أبيه ويتبادلا الحديث ويشرب معه الشاي.
كنت اهدئ من روع حماتي بأن مجال عمل حماي صعب ويتحمل الكثير... تنظر إلي بطيبة وتقول ربنا يهدي سرك يابنتي.
لاحظ زوجي بالطبع أنها تحكي معي كثيرا وسألني بتتكلموا في إيه كل ده .. فأجيبه ببساطة فضفضة ....قال زوجي لاتسمعي لكلام أمي.. هي دائما ماتشتكي... ولاتتدخلي.
مر شهر وشهور ثمانية .. عزمنا حماي على العشاء،،وهو غداءه المتأخر،،، سألني ونحن نأكل.. مفيش أي أخبار عايز حفيد ... نظرت لزوجي ..ليرد بأي كلمة..
..أحرجت جدا.. قلت كله بأمر الله... قام من على الاكل.. ودخل غرفته
بدأ زوجي يتغير في معاملته لي، يتجنب الحديث معي، حتى توقف عن إصطحابي معه أو عودته معي من العمل.. تحدثت إليه بنعومة وهدوء .. فيه إيه .. تحدث إلي.. أنا زوجتك واسمع حديثك بحب .. . كانت إجابته أن والده كلفه بعمل بعد دوام العمل بالوزارة ..بدأ يتأخر .. ويسهر ويعود متعبا ويبات بالأيام خارج البيت.. حماتي حينما ..أنزل إليها..أرى الدموع في عينيها ولاتتكلم.
قابلت حماي.. تحدثت إليه.. قال الراجل بيشتغل إيه المشكلة... كله علشانك وعلشان ولادكم إن شاء الله... صبرت شهر مع مداومتي على الحديث الهادئ مع زوجي بدون تقصير في حقه وإصراري على توفير كل الراحة في بيتنا... لم يتغير زوجي وبدأ في تحاشي الكلام معي.. او حتى الاكل.
ذهبت عند عودتي من العمل إلى بيت والداي.. وقصصت على أبي حالي... فنصحني بالصبر والمداومة على التواصل مع زوجي.
حين عاد زوجي.. وأنا اتحدث معه ..أحاول أفهم ... قال بعد تردد قصير من الآخر لقد تزوجت.. زوجني أبي ابنة عمي بعد أن أنهى بناء شقتي بالعمارة الجديدة ..حتى يكون له حفيد ويطمئن علي.. هكذا.
انهرت بكيت.. نزلت عند حماتي ما أن رأتني أخدتني في حضنها وبكت.. كانت تعلم ولم تسطع إخباري.. دخل حماي في هذه اللحظة وبكل إستهانة قال إيه المشكلة ربنا حلل الجواز.. وأنا عايز أحفاد وإنت مش قادرة ..خلاص بقى.
أخذت متعلقاتي الشخصية في شنطة صغيرة وتوجهت إلى بيت أبي.. وقررت الطلاق نحن متزوجان من اقل من سنة .. حياتنا بسيطة وهناك تفاهم ومودة وإنسجام.. لم أهتم بتعلق زوجي بأبيه..وتدخله أحيانا في طريقة إدارتنا لحياتنا ...كنت أراها طبيعية لأصغر الابناء ..بالطبع كنت أتلهف دوما لحدوث حمل.. زوجي لما كلمته نروح لدكتورة تطمنا ونعرف ليه إتأخر الحمل... كان يقول لا سيبي كل حاجة تيجي بوقتها

توجه أبي إلى حماي وكان زوجي معه.. وطلب منه الطلاق بالمعروف .. تعجب حماي للطلب ..بنتك محبكاها ياأستاذ حسنين ... قال أبي كله قسمة ونصيب.. .. طلب حماي من إبنه أن يلقي يمين الطلاق... فأجابه .. بلاتردد.

.

ينما عدت إلى بيت والدي .. ظللت فترة منقطعة عن العمل .. اتكلم القليل واكل الأقل.. كنت لاأنام من التفكير . . فيما حدث، وعدم إهتمام زوجي السابق .. أنهى علاقتنا الوثيقة بلا أدنى تردد .. عدت إلى عملي و رأيت نظرات التعاطف من زملاء العمل.. كنت أرى أحمد بالمصادفة .. مع إنتهاء فترة العدة.. تأكدت بنهاية هذه المرحلة.. مررت بأحاسيس متضاربة، ومع الوقت و وقوف اسرتي معي ودعمي ..المعنوي، وجهني ربي لمواصلة العمل بجد وعودتي إلى طبيعتي.

بعد مرور عام .. جاءت زوجة أخي وقالت لي ولأمي ان إبن خالتها محامي يبحث عن عروسة مناسبة وهو أرمل من عامين...حيث ماتت زوجته بحادث سيارة كانت تقودها ...كان يكبرني بعشر سنوات.. تشاور أبي مع أمي وأخي معي بالأمر.. بالفعل تعرفنا عليه.. رجل في السابعة والثلاثين أسمر طويل نوعا، كان يعمل باحد المؤسسات بالشئون القانونية بعد العمل لفترة افتتح مكتب للمحاماة مع زميل له.. وكبرا معا.

لديه شقة بحي الروضة كانت لوالديه واشترى نصيب أخته المتزوجة بالشقة.. كانت مشكلتي النفسية أنها الشقة التي تزوج بها .. بعد عدة لقاءات للتعارف بمنزل والدي.. كان طليق اللسان هادئ رزين مرح ..يستمع إلي بإهتمام حقيقي ..الحقيقة أعجبني.. تمت خطوبتنا.. استمرت عاما.. بناءا على رغبتي للتأكد من إحساسي ورغبتي في الإرتباط... استطاع أن يحتويني بعطفه ومودته ومحبته.. أحسست انه أحبني .. لقد كنت لطيفة وديعة هادئة مثقفة قارئة في عدة مجالات .. أجيد الكثير من الاعمال الفنية و..و جميلة .. نعم .. يزيدني الحجاب جمالا.

تزوجنا .. كنت خائفة من تكرار الفشل.. ولكن سرعان ماتلاشي قلقي.. سعدت بتدفق مشاعر بِكر وعرفت طعم السعادة مع نبيل.. إنه الحب... الذوبان في الآخر.. أما عن سعادتنا وفرحتنا بعلامات الحمل.. الله الله انها هبة رب العالمين.. رزقنا الله ..بإبننا ،أشرف، ثم تلك الناعمة الجمال كله ،أية،

سافرت كثيرا من خلال عملي وترقيت وكنت مرجع في تنسيق الحدائق وتكاثر نباتات الزينة.. وكبر إسم ومكتب زوجي .. استقرت بنا الحياة ..ربينا الأولاد بكل محبة ومشاركة بكل التفاصيل.

تزوجت إبنتي بعد تخرجها في كلية الأداب من معيد بالكلية وسافرا للدراسة لمنحة دراسية لزوجها واستقرا بأحد دول أوروبا...خطب إبني المهندس الكهربائي زميلة له بالسنة الثالثة بذات الكلية.

في أحد الأيام عاد زوجي الغالي متعبا بعد الترافع بقضية عتيدة .. و... توفى بين يداي وهو ينظر بعيناي..

بكيت زوجي السند والعون الأب والصديق.

بعدها خرجت للتقاعد من عملي.

بعد عام قمت وأبني ببيع شقتنا وصفينا مكتب المحاماة.. وجمعنا مالدينا واشتريت فيلا صغيرة دورين منفصلين بمنطقة راقية داخل كمبوند .. زوجت إبني..سكنت بالدور الأرضي (نصيبي ونصيب إبنتي) و إبني بالدور العلوي.

-2

شغلت نفسي بتنسيق حديقة الفيلا وتوزيع وإنبات الورود الرائعة... أهداني إبني قطة سيامي عيونها خضراء بديعة.. كنت أحرص أن أخرج للتمشية بالصباح الباكر مع قطتي ، بونسي، . وكان أن قابلنا رجلا في نهاية الستين تقريبا يتمشي مصطحبا كلبا مخيفا عدوانيا ،،دوبرمان،، خافت بونسي وجرت بسرعة وأفلتت الحزام من يدي.. والكلب ينبح بشدة ..نهره الرجل.. فهدأ مباشرة ..قال بأدب جم اعتذر ياهانم أنا أسف.. عادت بونسي .. ومشينا في طريقنا للبيت... تكرر اللقاء بعد يومين... لكن بهدوء.. اومأ الرجل لي برأسه وقال صباح الخير ياهانم.

عدت إلى بيتي وجلست بالحديقة أشرب فنجان النسكافيه.. مر ذات الرجل من أمام الفيلا.. ثم اقترب من سور الحديقة وقال .. ماهذا الجمال ماشاء الله تحفة .. لم كن أدري ماذا يريد.. قال بعد إذنك، قلت تفضل.. أشرت لمن تساعدني بالبيت أحضري فنجان شاي.. إتفضل حضرتك.. قال إذا سمحت ممكن أعرف المهندس الذي قام بتنسيق حديقتك.. لان حديقة فيلتي بحالة سيئة للغاية.. وأردف أنا أسف، أنا سليم عبد المجيد الأسدي، كنت الملحق التجاري لمصر بأحد دول أوروبا .. وأسكن في فيلا رقم ... قلت أهلا وسهلا.. تشرفنا حضرتك.. أنا من اقوم بتنسيق الحديق وزراعتها ...حيث هو تخصصي، انا المهندسة جهاد المهدي.

قمت بزيارة فيلته التي تماثل مرتين فيلتنا.. حددت مشاكل الحديقة وجهزت كل لائحة ..بما يلزم... استعنا بمن ينفذ تجديد الحديقة.

عرض الرجل المحترم مبلغا سخيا من المال..رفضت .. واعتبرتها هدية من جارة.

ارسل الرجل باقة من الورد والشيكولاته الفاخرة.. كنا نتقابل للتمشية بالصباح.. وكان أن شارك كل ساكني الكمبوند صور من حديقته الغناء..ومن قام بذلك... وبدأت طلبات عديدة تأتيني.. شجعني الرجل على العمل.. وكان يقوم بتصوير الحدائق قبل وبعد التغيرات التي أقوم بها.

اقترح علي أن نؤجر منطقة صغيرة لتكون صوبة يتم فيها إكثار الورود المتميزة...ودعمها ماليا.. وأنا بمجهودي...كل الامكانيات أتاحها ،،الاستاذ سليم الأسدي،،

وسعنا العمل بعدة صوب... كنت سعيدة للغاية أن أعمل ..بمشروع بتخصصي كسر الملل والفراغ.

كنا نبيع الزهور والورود التي أقوم بإكثارها بمعمل ملحق بالصوبة ..مجهز بكل ماأحتاجه ..كنت أعكف على إنتاج زهور مختلفة بديعة الألوان ..طلبات عديدة من كل المحال..والأفراد... نجاح.. نجاح.

دعتني إبنتي أية أن أزورها حيث تقيم مع زوجها...أوشكت على الوضع...فعلا إبني قال سافري ياامي ..تعبت في الفترة اللي فاتت بصراحة كان يساندني ويزورني بالصوبة وزوجته كانت تساعدني بالعمل.

سافرت لإبنتي... وولدت حفيدتي.....حفيدتي نوران كانت كزهرة نادرة.

مكثت معهم أسبوعين... ثم أقاموا حفلة صغيرة ضمت مصريين من زملاء الدراسة والأصدقاء.. ثم قام زوج إبنتي بتعريفي إلى رجل أعمال يقيم منذ عشرات السنين واقام مؤسسة ضخمة وثري للغاية.

باليوم التالي سألني زوج أبنتي مارأيك ياطانت.. في إيه يابني.. قال في رجل الأعمال ..يريد الإرتباط بمن تكمل معه مابقي من حياة...ونس وبدل الوحدة.. قلت من قال أني أعاني من الوحدة... الحمد لله ...قالت إبنتي لامانع ياماما.. عيشي .. مع من يؤنس وحدتك ..قلت أبوكي لابديل له... هو ترك لي مايؤنسني ويسعد فؤادي مابقي لي من العمر.

عدت إلى مصر.

بعد يومين وجدت بطاقة من الأستاذ سليم يستأذن في زيارتي ومعه إبنه الوحيد الدكتور فاروق..وفي وجود إبني وزوجته.

-3

أحسست بعدم راحة وضيق.. كلمت أشرف إبني .. قال الأستاذ سليم كلمني وإستأذن في الحضور مع إبنه ليتحدث بموضوع.. حاولت أفهم قال أرجو أن تنتظر حتى نتقابل.

مفيش مشكلة ياأمي نستقبله ونفهم خير إن شاء الله.
حينما دخلت غرفتي للنوم لم أستطع، تخيلت السيناريو .. ماذا يريد وماهو الموضوع الذي يحتاج إلى زيارة خاصة ..إذا شئ يخص العمل كنا طرحناه بالمكتب الملحق بالصوبة ...كالعادة .. أو من خلال الفيديو على الإنترنت.
أكيد موضوع يخصه شخصيا فلماذا يُحضِر إبنه، غير المتزوج وليس لدي بنت للزواج، هل يريد إنهاء العمل، جايز جدا لإن إبنه يدير هذا المشروع معه ...أو ... أو...إحتمال.. معقول.. إن ..قصدي.. ليه.. هل يطلب الإرتباط بي... لا .. لا نمت نوما مضطربا... مر اليوم .. وأصبحت الساعة السابعة مساءا.. ارتديت ثيابا بسيطة مريحة وانضم ابني وزوجته معي.. تحدثنا.
استقبلنا الاستاذ سليم وإبنه وهما في غاية الاناقة .. قدم لي الدكتور باقة من الزهور بغاية الرقة.
جلسنا وتبادلنا الحديث العادي... وبعد أن شربنا الشاي وبعض المقبلات المنزلية قال الأستاذ سليم بصوت مبتهج متوهج.. المهندسة جهاد يشرفني ويسعدني أن لحظتها .. قلبي يدق بشدة أكاد أرتجف ..لا... لا أريد أن تنتهي هذه العلاقة وهذا العمل ..يكفي أن..
قال إبني بحدة خير سيادة السفير ..هكذا كنا نناديه
قام الرجل من مكانه وسحب علبة قطيفة زرقاء مستطيلة ملفوفة بشريطة ذهبية ....كانت داخل شنطة ورقية ملونة.. وفتحها وأقترب مني.. قمت من مكاني ثم قال بصوت متأثر جدا .. جهاد هانم ..تسمحي.. وقدم لي العلبة...مددت يداى وأنا مرتبكة.... فتحت العلبة ..وجدت داخل العلبة القطيفة ظرف سماوي قال بعد إذنك افتحيه... قام أشرف إبني ليساعدني..وعلامات إستفهام كثيرة في ذهنه .. ويكبت غيظه..... فتحت الظرف وذهني مشتت، وقرأت الورقة المطوية بعناية باللغة الإنجليزية ...ما أن أنهيت القراءة .. تلقف إبني الورقة يقرأها مع زوجته
جلست مكاني غير مصدقة .. قال سيادة السفير: إنها موافقة أكبر الشركات بهولندا بإستيراد الزهرة التي قمت سيادتك بإكثارها بكمية ويوميا.. ولمدة عامين حصريا سنطلق عليها ،،عصفور جنة جهاد،،
إنها نتيجة العديد من المحاولات والتجارب لانتاج هذه الزهرة الملكية السامقة التي أعشقها بألوان وأطوال غير مسجلة ..لم اكن افكر مطلقا أن نصل إلي بيع هذه الزهرة لهولندا رائدة إنتاج الزهور بالعالم.
أخرج الدكتور اسماعيل شيكا بمبلغ وهمي وقدمه لي.

احتضنني إبني وزوجته الغالية ..وقال ياأمي تعبتي وربنا بيكرمك.. مبروك ياحبيبتي.. إنه أحد أحلامك .. يحققها ربنا ثم إجتهادك وعملك ... وبكى بدموع إبن بار، وقال ابي بالتأكيد سعيد جدا بك.
جلسنا جميعا وانا بقمة سعادتي.. أبكي فرحا.
قال سيادة السفير كنت أسعى من فترة وطوال أجازتك عند إبنتك بالتواصل مع شركات عدة دول أوروبية لتصدير هذه الزهرة الفاتنة ..وبحكم معرفتي بالشركات التجارية .. وفقني الله إلى الوصول لأكبر شركة هولندية وبأفضل عرض..كان شرطهم أن يكون الإنتاج لهم وفقط.
كلمت إبنتي وزوجها أخبرهما هذا الحدث الرائع.. فرحت أية وبكت وقالت ياماما أنت مثال للإجتهاد والمثابرة والسعي وراء حلمك.
شاركت قطتي بونسي وهو اختصار لكلمة بوانسيانا وهي شجرة أعشق جمالها معنا الإحتفال .. حيث أحضر لها سعادة السفير طوق من الفضة مكتوب إسمها عليها...علقتها برقبتها.
أكملنا سهرتنا ..واتفقنا على مضاعفة العمل بالصوب وتأسيس صوب جديدة ..وزيادة العمالة وتدريبهم.
حسابات وتكاليف العمل كان يقوم عليها الدكتور إسماعيل وهو دكتوراه في المحاسبة.. ويدير مكتب محاسبي معروف. سارت بنا الايام ونحن نقوم بالعمل والمتابعة.

نهاية....

باب وشباك

سرحت مع صوت فيروز وهي تنساب بالكلمات، سَكَنَ الليلْ وفي ثوب السكونْ .. تَخْتَبِي الأحلامْ،، ما أجملها وأصعبها من أحلام...تنهدت.. وتنبهت إلى صوت أمي وهي تضع فنجان القهوة ورائحتها تدغدغ مشاعري، أمامي على حافة الشرفة التي تطل على الشارع الرحب وحديقة تتوسطه .. قالت وهي تجلس قبالتي.. مشغول يامحمود ..قلت أبدا أبدا.. قالت جهاز أختك رضوى الحمد لله إكتمل على خير .. حدد مع خطيبها موعد الزفاف .. دمعت عيناها وهي تدعو لي.

كنت قد أنهيت تصميم وتفصيل غرف شقة أختي بالورشة التي نمتلكها وأديرها مع أخي حاتم الذي يصغرني بثلاث سنوات.

هذه الورشة كان أبي رحمه الله يعمل بها أسطى نجار باب وشباك في أحد حواري عابدين ..كان دخلنا البسيط يكفينا، كنا نعيش مستورين بشقة في حي الفجالة.

نفس العمارة التي نسكنها الان كانت بالدور الارضي وخلفية وتطل على شارع جانبي ضيق.. كانت أمي تدبر مصاريفنا وتدير البيت وتفصل لنا الملابس .. كنا نستذكر دروسنا وأذاكر لإخوتي.. ومرت بنا الأيام حتى وصلت إلى الإعدادية .. نجحت بمجموع كبير.

يومها عاد والدي مستندا على زملاءه بالورشة .. لقد تعب فجأة.. وتوفي بعدها بيومين.. إنهارت أمي الوديعة وبكت أبي كثيرا.. كان أبي وحيدا بعد وفاة أبويه بإحدى القرى وكان جدي نجار أجير أيضا.

بعد مراسم الدفن والعزاء.. قدم صاحب الورشة مبلغ مالي إلى أمي.. و ذهب.. بقي خالي السيد وهو أخ وحيد لأمي.. جلس بجوارها يواسيها ويعزيها ويقويها.. وأعطاها مبلغا بسيطا، حيث كان موظفا بأحد المصالح ولديه طفلتان.

جلسنا منكسي الرؤوس لاندري ماذا نفعل، قالت أمي .. سأقوم يا أولاد بالخياطة للجيران حتى تكملوا دراستكم ونكمل... قلت لا.. سأخرج للعمل وأصرف على البيت.. أبدا أبدا لاترهقي حالك.. بعد مجادلة طويلة.. كانت أن إكتفت بإعداد الخضراوات للجيران بمقابل يساعد في مصروف البيت، خرجت إلى العمل صبي في ورشة النجارة التي كان أبي يعمل بها .. علمني أصحاب والدي وشربوني الصنعة..كنت أعشق الرسم . بدأت اتعلم النحت على الخشب.. أرسم وأشكل لوحات على الأبواب.. فرح كثيرا صاحب الورشة عندما أعجبه العمل، عرضه ووجد كثير من المشترين يسألوا عن تلك القطعة للشراء.. تحسنت أعمالي مع الوقت .. مر ثلاث سنوات.. وحصل أخي على الإعدادية وعرض علي العمل معي والتوقف عن الدراسة.. رفضت تماما.. وقال لن أكمل دراستي حتى تعود إلى إستكمال دراستك.. لم يكن هناك من وقت لذلك .. أخرج بالصباح في التاسعة وعود في التاسعة مساءا.. اغتسل ونأكل جميعا.. كانوا ينتظروني حتى نتغدى معا.. ثم أنام .. بلا تفكير...كنا نتذوق طعاما بسيطا لذيذا.. مرة بالأسبوع نتناول الدجاج أو اللحم.

نرتدي نفس الملابس الصيفية في الشتاء ويزيد عليها الجاكت أو البلوفرالمشغول يدويا ونتبادله أنا وأخي.

ألحت والدتي وأخي ان أحاول أكمل الدراسة .. كنت أدرس على مضض.. ينجح أخي ويذاكر معي حتى أدخل إمتحان الملاحق.. نجح حاتم بالثانوية بتفوق والتحق بكلية التجارة .. كان يعمل معي بالورشة في الإجازة الصيفية.
التحقت بعده بعامين بالجامعة إنتساب كلية الحقوق.
عندما طُلب حاتم للخدمة العسكرية.. كانت رضوى تخط السنة الدراسية الأولى لها بكلية البنات.
كان خالي ،السيد، دائم السؤال عنا ويزورنا أسبوعيا .. معه علب من البسكويت أو حلويات من صنع زوجته...كانت تزورنا بالمناسبات ..كان يعطي في الخفاء شهريا مايستطيعه لأمي.
وفي احد الايام مرض عم محروس صاحب الورشة ..وأوصلته لمنزله حيث يقطن مع زوجته بعد أن تزوجت إبنته الوحيدة وسافرت مع زوجها... عرض الرجل علي أن اؤجر منه الورشة نظير مبلغ ..وحدده.. عدت إلى البيت وأخبرت أمي... نظرت إلي وعينيها تلمع وقامت ثم عادت ومعها شنطة قديمة كانت لوالدي... جلست واخرجت من الشنطة نقود بفئات مختلفة .. .قالت هذا تحويشة السنين.. عن الدموع لاتسأل.. أمي وأختي.. انا أدخر كل قرش لكي أجهز اختكم.. ولكن فيه مهمة إن شاء الله تكون خير لنا جميعا يامحمود.. وافق على عرض الأسطى محروس.. وجدد الورشة كما كنت تحلم دائما.

-2
حولقنا حول أمي على منضدة الطعام التي صنعها أبي منذ زمن ونحن نعد النقود ونضحك.. وخلعت أسورة يتيمة لاتتجاوز سبعة جرامات ،، شبكتها،، من يدها.. ونحن نمنعها وطلبنا أن تحتفظ بها ذكرى من أبي.
بدأت مع أخي في تجديد عِدة الورشة .. قمنا بشراء أخشاب خام، بالتقسيط . واجتهدنا أن ننتج ابواب بأشكال فنية متنوعة .. مختلفة عن التقليدي بالأسواق.
اتفقنا مع أحد المحال بالشارع الرئيسى أن يعرضوا منتجنا بمقابل.. بالفعل لفت نظر المشترين.. وبدأ العديد في السؤال والإتفاق معي ..على توريد الأبواب والشبابيك، كان أخي يمر بكتالوج بالموديلات المتنوعة على الفنادق وشركات البناء والتشييد، وكان أن مَنّ الله علينا بإتفاق لتوريد باب وشباك لجناح بأحد الفنادق المجاورة .. على الطراز العربي.
نفحات من الله، ثم دعوات أمنا الدائمة عرفنا طعم المكسب والرزق.
كانت أمي تحلم دوما أن تجلس بالشرفة المشمسة المطلة على الشارع تشرب كوب الشاي بعد المغرب..لاحت الفرصة حيث توفيت السيدة التي تقطن شقة بالدور الأول اثناء زيارتها لإبنها المتزوج بالسعودية .. كلمت صاحب العقار.. وكان يحتاج إلى شقتنا كمخزن لبضاعته من الأجهزة الكهربائية .. دفعنا مبلغا زهيدا للمبادلة، وزاد علينا الإيجار .. أنجزنا ذلك.. وانتهزنا فرصة أن أمي تزور خالي.. ونقلنا عفشنا البسيط القليل إلى الشقة بالدور الأول.. ثم جاءت وأخذناها بالتحايل إلى الشقة

الجديدة.. ولم تفهم للوهلة الأولى قالت: عفش بيتنا هنا إزاي .. فهموني،حكينا لها.. لم تتمالك حالها وهي تحتضنا ودموعها تغرق وجهها الطيب.
في إحد الأيام دخل صبي الورشة ،،سيكا،، الذي كان على أول الشارع يشتري فطارا لنا، وهو يهلل ياأسطى محمود زباين عايزينك..
هلّ رجل أنيق بالعقد الخامس .. يصحبه فتاة عشرينية ترتدي بنطلون جينز وبلوزة .. شعرها كستنائي، رفعته كذيل الحصان حينما دخلت الورشة.. وأخذت تنظر في كل مكان مبهورة.
قال الرجل بعد إلقاء التحية .. لقد رأينا الأبواب بالشارع وأُعجبت إبنتي بها.. ونريد أن تقوم بتغيير شبابيك وأبواب شقتنا.. بكل سرور حضرتك.. رديت بقلق.. وأنا أرقب الآنسة وهي متحمسة كنت خائفا عليها ربما يؤذيها الخشب .. قالت .. بابي أعطيه العنوان..الشغل جميل جدا، أحضر معك كتالوج لنختار... أعطاني كارت منمق .. محامي بالاستئناف العالي...فلان الفلاني
حددت الموعد.. انشغلت بهذه الفتاة الجذابة المرحة .. عندما عدت للبيت لم أستطع إلا التفكير بها.
في البلكونة حيث أمي تنادي قهوتك يامحمود ح تبرد،
على الموعد بأحد العمارات الفخمة المعتقة بشارع شامبليون بوسط القاهرة
دققت جرس الباب ..فتحت بنت صغيرة تربط شعرها بالمنديل ..عرفتها بنفسي... قالت اتفضل سيدي البيه منتظرك..
احلامنا تعجز أن تتصور ... أثاث وتحف وسجاد على الحوائط وبيانو بانوراما.. وزهور بكل مكان.. جاء الأستاذ كامل مرحبا .. وقمت بأخذ المقاسات وحصرت الأعداد، بقي إختيار الموديل.. تركت الكتالوج.. دار بيننا حديث قصير وعرف الرجل أني أدرس بكلية الحقوق، اثنى علي وشجعني بالكلمات على مواصلة الدراسة...واستأذنت.. ولكن زوجة الرجل دخلت غرفة المكتب التي نجلس بها.. رحبت بي.. وقالت إجعل باب غرفة نورهان والبلكونة بتصميم مختلف ومميز قالت بصوت عذب وهي على طرف الغرفة ميرسي يامامي.
انصرفت وأنا محتار ومتعجب من حالي.. واسأل ماذا بك.. لاتنسى مرة ومرات رأيتها.. سمعتها..خيالها باحلامي.

-3
أوجدت الحجج لحالي للذهاب إلى الجامعة لرؤيتها عن بعد وأمني النفس ربما ألقاها وأكلمها..كنت أبحث عنها بين الوجوه.....في يوم بالفعل رأيتها.. مرت مع زميلاتها بجواري.. لم تشعر بي، عرفت جدولها وتابعتها، إنه ذلك الإحساس بأن الروح هائمة، قلبي متيم، لم اسأل نفسي وماذا بعد، الأحلام أعيشها تسعدني ولا أستمع لعقلي الذي يحاول ولكن هيهات.
كنت بالورشة ..أعمل.. اتصل بي الأستاذ مختار... قلقت.. اضطربت.. مئات الأسئلة دارت بمخيلتي.. هل عرف شئ .. هل اشتكت نورهان، ربما لاحظت وجودي المتكرر، هل.. هل.

قلت نعم ..رديت ..بعد التحيات قال ممكن تحضر ومعك كتالوج لغرف إستقبال و...و .. حاضر .. حدد موعد.. وذهبت متأنقا.. ومئات التساؤلات وتخيل الحديث.. استقبلني الرجل بترحاب وقال إننا نرغب في تكليفك بتصميم وتنفيذ موبيليا لشقة ،،نوري،،
أحسست أن الارض تتحرك، وقفت هكذا كان ينادي إبنته بالإجازة الصيفية ستتزوج ثم جلست ، لم ادري.. ماذا اقول، ظل الرجل يصف مايحتاجونه وان الوقت مضغوط ونحن نثق بك، وعليك أن تعمل ماتستطيعه، أطلق علي رصاصة وأنهى اللقاء، هكذا تبخرالحلم ..توارى..تبخر.
عدت لبيتي لم أستطع الحديث.. كنت حزينا مصدوما..وماذا تفعل.. لاتدري عنك شئ ولاتمثل لها شئ، هل صور لك خيالك أنها فكرت بك يوما.
دخل أخي الغرفة وأوقد الضوء وهو يسألني ..ماذا بك.. انتظرت أن تعود للورشة .. بعد مشوارك عند الأستاذ.. رأني عن قرب ووجدني بحالة منكسرة .. لم أستطع أن أبوح له بما أشعر.. قال وهو قلق علي طيب ارتاح شكلك مرهق جدا..
ترددت على بيت أسرة نور، تعدل وتغير الألوان .. .. وقد رأيت خطيبها وهي سعيدة فرحة به ومعه.. وأكاد احترق.
كان والدها يلاحظ لهفتي وهيامي بإبنته، ونبهني بكلمات غير مباشرة، إنك نجار باب وشباك ممتاز لاتنسى ذلك يامحمود.
أنهينا الغرف المطلوبة وذهبت وعمال الورشة إلى شقتها التي ستتزوج بها بالزمالك على النيل. ..رتبنا ووضعنا الموبيليا بدقة كما أشارت.
قلبي ينزف ألما...تزوجت نورهان كابتن طيار باحد الشركات العالمية.
حاولت أنساها.. مر عامين..رأيتها بأحد المولات المعروفة مع زوجها يحتضن كتفها بيده ويدفع باليد الأخرى عربة طفل صغير.
تزوجت أختي قبل تخرجها وانتقلت إلى بيت زوجها ..وهو أحد جيراننا ويعمل محاسب باحد البنوك.
فاتحني أخي في رغبته في الإرتباط.. كان يعمل بأحد الشركات بعد انتهاء الخدمة نهارا.. ويعمل معي بالورشة في الفترة المسائية أسطى ماهر بجانب الحسابات وافقت وأوصيته بان يقابل أسرتها ويتقدم لفتاته...بالفعل رحب والد الفتاة به، دعى حاتم أسرتها لحضور عقد قران إبنة خالي الكبرى يوم الجمعة القادم.
كانت أمي تراقبني ولاتتكلم.. تشعر أني اتألم .. تحس أنفاسي.. كانت تدعو لي وتمسح على رأسي وظهري بكف يدها... أكاد أبكي.
قالت إن شاء الله نكون جاهزين على الوقت.
حاتم قال سألقاكم بقاعة المسجد .. إصطحبت امي
قابلت خالي، إحتضنني وهنأته.. واستقبلت زوجته ابلة ،،فتحية،، أمي بكل الود والمحبة .. كان العريس منتظرا.. عرفني عليه خالي .. وهو مهندس زراعي من أسرة طيبة.. لحظات ووصلت العروس مع خالها.. هذه أول مرة ارى ابنة خالي ،،نسمة،، منذ ان كانت طفلة بعمر خمس سنوات تقريبا.

سمعت زوجة خالي وهي تقول تعالي با ندى سلمي على عمتك.. إلتفت.. فإذا ضوء قمر، إشراقة شمس، لؤلؤ بحر، رقة نسيم، بتلات زهور... فتاة بحجاب منسدل يضيئ عيونها العسلية ورداء ناعم كريمي..خجل بديع.
إحتضنتها أمي بحب.. اومأت برأسها لتحيتي.

حضر أخي ومعه رجل في الستينات والد الفتاة المفعمة حيوية.. عرفني أخي على الرجل.. وقال لقد جاء أخوك لخطبة إبنتي، وقررت أن أراك وأسرتك.. وأنتظركم لقراءة الفاتحة.
دخلنا جميعا القاعة بالمسجد وتمت مراسم عقد القران وسط الزغاريد والفرح.
أسمع وكأن قلبي يدق بعذوبة، برفق، بأمل حقيقي..إختطفت نظرة على الكائن الملائكي وهي تدور بالقاعة ترحب وتؤهل بالأهل .. مبتسمة بلا تكلف
عدت للبيت مع أمي، وقالت عقبالك .. اتعشينا معا..أخذت أفضفض معها عن مامررت به، قالت .. نصيبك ياإبني.. ربنا شايل لك نصيبك..وكعادتها دعت لي..
أغمضت عيني.. ونمت.. بلا سهد .. بلا أرق.
كما تنمو النبتة بقطرات الندى.. أحس بتدفق بمشاعري
أقبلت على العمل والإبداع في التصميم والألوان المبهجة
خطبنا لأخي.
استقر فؤادي على نصيبي وحلمي الواقعي..تمنيت على الله أن توافق ندى على الإرتباط بي.. عن فرحة أمي لاتسألوا.. رحب خالي وزوجته بي و بأمي وأغدقونا بالحنان والمحبة .. وافقت العروس ..كانت تدرس بكلية الاداب إنجليزي .قالت كنت أسمع من أبي عنك وعن إجتهادك ومثابرتك ..كنت أتخيل ملامحك من ملامح عمتي حينما تزورنا.. قلت أنا مازلت نجار باب وشباك... قالت ووجهها يكسوه الخجل ويالسعادتي اخترتني دون البنات.

نهاية ...

على جدار القلب

في كل صباح أصحو على صوت أمي وهي تناديني يا هنيبا.. تمد في إسمي بنغم وحنية.. أقوم من فراشي بتكاسل..غرفتي أصبحت مملكتي بعد زواج أختي وهي في السابعة عشر بعد أن انهت الدراسة بالإعدادي من رجل يكبرها بثمان سنوات صنايعي مشغولات ذهبية وشريك في ورشة والده المعروفة بالصاغة..كنت قد أنهيت دراستي بالمدرسة التجارية بعد معاناة ، لم اكن أرغب بالتعليم والحفظ والالتزام بالحضور والتقيد بالزي..وتحديدا من تكرار فكرة أبي أن البنت مصيرها الزواج..كنت أصغر إخوتي..الجميع يدللني .. ضحوكة ذات شعر ذهبي وعيون عسلية واسعة وبشرة بيضاء وردية ، أميل إلى الامتلاء المحبب.

لم يحصل أحد من إخوتي الشباب الثلاث سوى على التعليم المتوسط وانخرطوا في العمل مع والدي في تجارته بالعطارة والحبوب. تزوج الواحد تلو الآخر من بنات آبائهم أصدقاء لأبي ولهم أعمال ومصالح مشتركة.. ويعيش كل منهم في شقة رحبة في نفس العمارة ملك أبي..بحي منيل الروضة.

شقة والداي تشغل الطابق الاول بكامله..كان البيت لاينقطع عنه الحركة .. دائما هناك من ينظف ، يغسل، ويهيئ الطعام .. الضيوف والأهل من بلدنا من أرياف الوجه البحري.

أمي تشرف على كل كبيرة وصغيرة لراحتنا وراحة أبي..نجتمع على العشاء جميعا لكل أفراد الأسرة مرة في نهاية كل أسبوع.

بادرتني أمي قائلة ..النهاردة بعد صلاة المغرب ستأتي عمتك وزوجها لخطبتك لإبنهما منتصر...لوهلة ..صدمت..مين.. كيف يعني..كنا نعلم أنه متيما بابنة عمه ورفضته حين تقدم لها..قلت لأمي ..في المرات المحدودة التى رأيته فيها كان قلبي يرتجف خوفا منه.. ثم.. ثم أنه آكبر مني على الأقل بعقد ويزيد.. جهور الصوت، ضخم الجسم، ولكن في الحقيقة كان شاب وسيم... لم يحصل أي تعليم...يعمل مع والده الذي يمتلك أسطول سيارات شحن بين البلاد.

كنت مثل البنات الحالمات أرسم لفتى أحلامي ملامح وروح.. أحب الموسيقى والغناء واقرأ القصص الرومانسية.

قالت أمي ..والدك قال لحمنا ودمنا ويصونك..وميسور الحال مثلنا والراجل ،،لايعيبه إلا جيبه،،،.

خرجت أمي حتى أبدل ملابسي وألحق بها للإفطار.

فكرت أن أتكلم مع أحد من إخوتي لإقناع أبي في أني لا أرغب في هذه الزيجة أو أكلم أختي فوزية .. ولكني تراجعت لأنهم تزوجوا برأي والدي بدون نقاش، وعزمت أن أتحدث مع والدي... ولكنه قد غادر إلى أعماله بالفعل بالصباح الباكر... أجلت الحديث حتى يأتي بالمساء ..استقبلت والدي مرحبة .

قال أهلا بعروستنا الجميلة حكيت له عن إحساسي..قال بعد برهة مازلت ياصغيرتي طفلة واردف قائلا جهزي نفسك الجماعة على وصول.. سحبتني أمي على غرفتي.. وتهيأت لإستقبالهم
خرجت بصحبة أمي كان على وجهها إبتسامة فخر بجمالي.
توجهت إلى الصالون المذهب المرصوص بغرفة على درجة سلم من الرخام الأبيض في الجانب الأيمن، وكله غرف إستقبال وسفرة كبيرة ومطبخ رحب وغرفة الخدمة..والجانب الأيسر غرف النوم الأربعة.
دلفت إلى الصالون والأنوار متلألأة من الثرايا..والعيون ترقبني...كنت أتعثر بخطوات خجلة، في ثوب قرمزي بأكمام لها زراير لؤلؤية لامعة أرتدي الأسوار الذهبية والسلسلة السميكة والقرط المدلى..وخاتم بكل يد...هكذا وجهتني أمي.. حتى يعرف الضيوف مدى إهتمام والداي بي وحرصهما تزيني بالمصاغ.
سلمت على عمتي وامطرتني بالقبلات وأشادت بجمالي وأجلستني بجوارها بعد أن سلمت على زوج عمتي ..ألقيت نظرة سريعة على الجالسين ..والدي ووالدتي وإخوتي الشباب وعمتي وزوجها..و كم من الهدايا المتراصة على المنضدة و ..الاريكة... و..و..وعريسي.
بعد الترحيب والمجاملات، قطع صوت دادة أم سيد الحديث قائلة السفرة جاهزة ياحاج ..قمنا إلى الطعام وعليها مالذ وطاب من الأكل الشهي البيتي. شعرت بالهلع حينما إختلست النظر ..والخطيب يأكل بشراهة بلا ترتيب ويشرب كظمأن .. بعدها وقف في الشرفة يدخن بنهم.. يتحدث مع أخي الكبير في كرة القدم..
مع اكواب الشاي والحلوى.. إتفقوا على كل شئ لزواجي.
انفردت بأمي والدموع تتساقط ..لا أريده.. لا أتخيله.. أنا.. أنا... لم تنصت وقالت إنك مازلت صغيرة ولاتدركين أين مصلحتك.
تم الإتفاق على الخطوبة الأسبوع القادم والفرح بعد شهرين .. ثالث أيام عيد الأضحى.. لامجال للرفض..قرأوا الفاتحة وقام منتصر وناولته عمتي هدية أخرجتها من حقيبة يدها الجلدية.. أسورة محلاة بأرباع الجنيهات الذهبية ليلبسها لي.

-2
تمت خطبتي وسط الأهل والمعارف في بيت والدي.. أقامت عمتي وزوجها وأولادها الإثنين وزوجاتهم في شقة الضيافة التي خصصها والدي لتلك المناسبات..قدم العريس شبكة باهظة الثمن ..كانت عمتي تستعرض كل قطعة وتناولها لإبنها ليلبسني إياها... لم تتوقف عن الحديث معه.. كان منتصر يزورنا مرة بالأسبوع محمل بالهدايا... ويهتم كل من بالبيت للترحاب به.. لم يحرك بداخلي قدر أنملة، يتحدث وأكاد أغلق أذناي، ضحل التفكير ، نعم لم أتحصل على تعليم كافي ولكني كنت اقرأ كثيرا، وعاشقة لبرامج الراديو الثقافية والإجتماعية، يطلق النكات الفجة، يدخن بشراهة، ملابس ثمينة وإنما بلا تناسق..كنت أتحدث اللمم معه، تحدثت إلى أبي.. قال إن هذه شكليات تستطيعين تعديلها وتغيرها بالمستقبل.

جهز أبي كل مايلزم من الموبيليا والفرش والستائر والنجف والسجاد بضعف مادفع منتصر من مهر.. سافرت أمي وأختي لفرش الشقة.
تم زفافي في قاعة عجت بالمدعويين والاكل والحلويات..والفقرات الغنائية لم تترك عمتي فرصة للرقص مع العريس إلا وأقتنصتها.
قضينا ليلتين بأحد الفنادق الكبرى..ثم سافرنا إلى بيتنا بالإسكندرية .. الشقة بعمارة يملكها زوج عمتي على الكورنيش ..بدأت الحياة وانا مستسلمة ولكن اخذت عهدا أن أكون زوجة يرضى عنها زوجها والجميع.
توسمت في شقتي الإستقرار ..نصحو وأجهز الافطار وأرتب البيت وأجهز الغداء من الطعام الذي خزنته لي امي وأرسلته بعد زفافي مع عمتي.
زارني والداي في السبوع ... بعدها مباشرة
بدأت عمتي في تطبيق النظام الذي تنفذه على زوجتي ولديها الأكبر من منتصر، وأكتشفت ان عمتي الآمر الناهي بالبيت...في الصباح ننزل جميعا للافطار عندها ويخرج الرجال إلى أشغالهم ونبقى معها للتنظيف وإعداد الطعام.. نطلع شققنا للراحة او ماشئنا.. وقبل عودة الرجال في الثامنة مساء ننزل إلى شقة عمتي لإعداد السفرة للعشاء ..ثم التنظيف.. ونرجع للمبيت كل في شقتها...لايسمح لأحد بشراء او إعداد طعام .. ملابس إلا بمشورتها.. تحدثت بكل حنان وهدوء مع منتصر عن رغبتي بأن أكون بشقتي مستقلة في مصروف بيتي.. قال إن أمي هي صاحبة هذا البيت ولن أكسر نظامها..بعد مرور عدة ايام لاحظت أن زوجي يعود من عمله مرة مبسوط ومرات بحالة هياج وعصبية.. ورائحته عطنة..أيام بعد عودته... يتلصص بعد نومي ويخرج ويعود مع الفجر... تكلمت معه... قال إنها حياتي ومزاجي ولن أغيرها من أجلك....علمت أنه يتعاطى مخدرات ويشرب الكحول.. ويسهر بأماكن مشبوهة.. تكلمت مع عمتي.. قالت كل الشباب على هذه الشاكلة.. حينما شكيت لوالدي... قال تحملي ..الدنيا تغير من الناس مع الوقت.
كان منتصر لايراني.. يتعامل معي كأداة .. آلة... بلا مشاعر. لحظات عمري معه ...عذاب... حملت .. قلت ربما يتغير أحواله .. عندما يصبح أبا.
أنجبت ابنة بجمال القمر...اصبحت هند هي كل حياتي واملي.. عانيت من عمتي و إبنها.. الذي اهملني تماما مع الوقت .. زادت خروجاته الليلية.. لم اجده كي يساندني حينما مرضت إبنتي بأحد الأيام.. بأحد المرات كنت أجاذبه الحديث و أعاتبه برفق.. ثار في وجهي ووصفني بألفاظ وكلمات فظة قميئة .. وصفعني.
تركني وأقام عند والدته.. ظللت وحيدة مع الرضيعة.. حادثت ابي.. فجاء إخوتي ...وتحدثوا معه... ووبخوه... عاد يعتذر... عدة أيام .. وأعاد الكرة.. وبحالة أشد وأفظع... لملمت حالي... نزلت إلى الشارع بملابس البيت.. احتضن ابنتي.. أوقفت سيارة اجرة وصلت إلى بيت أبي...ظل الحال بين مصالحة وإهانات وخصام...طلبت الطلاق...بعد فترة وفجأة توفى والدي .. جاء ليعيدني..رفضت تركني وقال لتجلسي ببيت ابيك.. لا أريدك ولن اطلقك... ظللت في بيت أبي سنة سنتين ثلاث سنوات تزوج منتصر وانجب ابنة وابن.. .لم يسأل عن ابنته.. طلب إخوتي منه طلاقي

.بالمعروف...ظل على موقفه... ثم طلقني غيابي.. وأرسل لي ورقة طلاقي على يد محضر ، حزنت امي كثيرا... ساءت حالتها الصحية.
قرر إخوتي بعد فترة قبول طلب أحد المدرسين الذي رآني مرة أو مرتين على سلم العمارة اثناء نزوله بعد درس خاص لأولاد إخوتي.
رفضت وبشدة.. لم أكن راغبة في تكرار هذه التجربة حتى أتعافى منها... كنت أهتم بشئون أمي وآمنة في كنفها... وأرعاها.. بعد أن سيطر أخي الأكبر على تجارة والدي الراحل.. وخفت زيارات الأهل وتحديد مصروفات البيت.
كان قرارا قاطعا
كان عبد المقصود متزوجا وتوفيت زوجته وتركت له ابنة وابنا... واشترط أن لاتعيش إبنتي معي وأن لا أنجب... لم يغير أي قطعة ببيته.. سوى حاشية الفراش.. دفع مهر بخس.
اكتفى إخوتي بإعطائي مبلغا لشراء إحتياجاتي كعروسة حيث لم أتحصل على ذهبي و ملابسي من بيت عمتي..التي قامت بالتخلص منها.. وارتداء شبكتي..و...وتزوجت.

-3
دخلت بيت زوجي الجديد وأنا مكسورة القلب لفراق إبنتي وحيدة بلا سند والدي، دوامة تفكير بعد تخلى إخوتي عني والموافقة على زواجي بلا تردد، لم أشتكي قط من تواجدي بالبيت بجوار أمي وإبنتي، لم أطلب أي غرض، لا أتحدث كثيرا ولا أتدخل في شئون أحد.. ربما تكرار إهانة ومعايرة زوجي السابق لهم دوما بأني غير مطيعة و رفضت الإنصياع لحكمهم بالعودة إليه، جعلهم يتخذون قرار زواجي نكاية به.
عشت مع عبد المقصود لمدة أسبوعين بمفردنا ثم عاد أولاده إلى البيت بعد أن قضيا إجازة المصيف مع جدتهم لأبيهم و عمتهم غير المتزوجة بمدينة فايد بالإسماعيلية عشت معهم بالبداية وأخذت فترة حتى تفاهمت مع أبناءه ..كنت أشرف على دراستهم وإحتياجاتهم اليومية ، يخرج عبد الصمد من الصباح إلى المدرسة ثم الدروس الخصوصية ويعود في المساء يأكل وينام... أزور امي وإبنتي في نهاية الأسبوع ولمدة ساعتين... ومرت سنوات.. تحصلت إبنتي هند على الشهادة الإعدادية.. مجرد أن وصلت إلى السادسة عشر من عمرها طلبها للزواج إبن خالها الأصغر وكان يعمل مع أخي في تجارة أبيه..رفضت زوجة أخي رفضا باتا لعدم رغبتها في إرتباط إبنها من إبنتي لقناعتها أنها ستفعل مثلي وتترك زوجها

وافق إخوتي على خطوبة إبنتي من شاب يعمل بأحد محلات الملابس الجاهزة، لم يهتم والدها عندما اخبرناه، ولم يحضر، وتزوجت إبنتي بشقة صغيرة بضواحي القاهرة ...وجهزها إخوتي على مضض.
مرضت امي وتدهورت صحتها وطلبت من زوجي أن أزورها يوميا ساعة بالنهار، رفض أن أكون معها حتى لا أترك شئون أولاده والبيت، وإن إخوتي الأولى برعايتها.. عانيت تقصيري بحق والدتي، أختي الوحيدة كانت قد سافرت مع زوجها

وأولادها الى احد دول الخليج، إبنتي وزوجها عماد كانا يعودانها واستقرا معها بعض الوقت حتى تعافت بعد فترة..واستبشرت و أمي الخير حينما علمنا بحمل هند
وذات مساء تعرض عبد الصمد لحادث سيارة دخل على أثرها المستشفي لشهور للعلاج .. توليت رعايته ..ومتابعة الأدوية والعلاج الطبيعي بعد عودته للبيت... ولكنه ت.. توفى..عند حصر ممتلكاته لم يكن لدي أدنى فكرة عن ثروته أو أحواله المادية كتب كل مالديه لابنه وبنته اثناء فترة النقاهة... أدرت البيت بما كان يعطيه لي من المعاش الحكومي فهد إبنه.
وقتها كانت إبنته دنيا قد تخرجت في الجامعة واشتغلت بشركة .. وتخرج الشاب بعد وفاة والده بسنة وامتهن المحاماة بمكتب محامي معروف...عندها طالبني بترك الشقة ببساطة...والرحيل.. حيث لم يعد لدي اي مهمة.
خرجت ودموعي تلهب خداي.. عدت إلى شقتي ببيت أبي... جلست وحيدة اجتر ما عشته وعانيته.. وما حُفِر على جدار قلبي من الألم واستنزاف مشاعري وانطبع على ملامحي وعيوني.
لم يهتم اخوتي وزوجاتهم بحالي حيث شغلتهم حياتهم عني تماما.. عدا مبلغ مالي منهم أدبر به حياتي...كانت امي قد ضعفت صحتها وقلت حركتها وتقضي معظم يومها بلا حركة.
وكما يروي قطرات الندي الزهور العطشي.. وهبني ربي حفيد هدهد به شجوني.. واستعادت الحياة بريقها حينما استقرت ابنتي وزوجها الطيب بجواري وقد افتتح مشروعا صغيرا يديره بنجاح.
راعيت امي حتى وفاتها.. ودارت بنا الايام.. نحكي ما مر بنا نبكي ويحدونا الأمل في أيام اطيب واكثر بهجة.

نهاية....

طبق على السفرة

أخذت أتمطع وأتثاءب كقط سيامي وأنفض الغطاء عني بتراخي.....الصباح مشرق..الساعة السابعة كعادتي..نزلت من سريري الوثير..دسست قدماي بخف منزلي.. لبست الروب الخريفي .. دخلت حمامي الوردي.. غسلت وجهي وأسناني حضرت افطاري والقهوة الداكنة ..سحبت جريدتي المفضلة من تحت باب الشقة، يأتي بها حارس العمارة يوميا...جلست أتناول طعامي وانا أتصفح الأخبار وأتابع التلفزيون .. قمت بترتيب البيت أغير وأعيد أماكن الوسائد الملونة.. تعطي شكلا جديدا..كل قطعة مودرن بسيطة أنيقة ألوان الباستيل ستائر شفافة ورود طبيعية تابلوهات من رسومات والدتي التي تزور أخي الطبيب المشهور بإح الدول الأجنبية ومتزوج من صديقة طفولتي.. راجعت حسابي على موقع التواصل..وأطلعت على تعليقات الأصدقاء على مجموعاتي المفضلة.. أخذت حماما دافئا منعشا..ارتديت بنطلون رياضي وبلوزة قطنية ..وأنا اهم بصلاة الظهر.. دق باب شقتي دقات متلاحقة..فتحت لأجد

إبنة جارتي التي تسكن أمامي.. ونقطن آخر دور....قالت في لهفة وهي تعتذر في آن واحد...والدتي تعبانة والدكتور عندها...ممكن تأتي معي للمساعدة إبنتي الصغيرة معي ...و...و... حاضر حاضر...وضعت إيشارب على شعري..ولحقت بها إلى شقتها..وضعت طفلتها الرضيعة بين يداي...وقفت للتحدث مع الطبيب وخلفه مساعده في منتصف الصالة ...وهو يقول العلاج بإنتظام الراحة الأكل الخفيف..مشروبات طازجة.. وخرجا على عجل... وقفت تحدثني، صرخت إبنتها..وقطعت حديثنا ..قالت دقيقة وأعود.. تركتني لتضع الطفلة بسريرها وتحضر زجاجة اللبن، جالت عيناي في المكان... وجدت نفسي وسط الاثاث التقليدي الضخم الذهبي، السجاد الذي يغطي معظم الأرضية البورسلين، الثريا المتدلية الستائر الدانتيلا المزينة بالقطيفة...تنبهت وسمعت مدام كاميليا تنادي إبنتها وهي منشغلة تمام عنها ...اضطررت إلى أخذ خطوات نحو غرفتها بفضول... وأنا اقدم نفسي...انا ليلي ياطانت جارتك..سلامتك.. قالت..أهلا وسهلا...اتفضلي...كانت السيدة تجلس نصف جلسة في سرير مذهب مطعم بالقش..سألتني أن أناولها العصير من ثلاجة صغيرة بأحد الأركان...أحضرته ..اقتربت منها..بَدأَت بالسعال...ياربي..إنها رائحة السيجارة التي كنت أدخنها بعد الإفطار... جاءت إبنتها على صوت الكحة...وقالت فضلا افتحي البلكونة..وهي تُعدل من وضعية أمها لتكون مرتاحة أكثر... أزحت الستائر .. لأجد امامي فراندة مغلقة بالزجاج الملون المعشق...فتحت الضلفتين بوسع يداي ...أأأه..ماهذا الإبداع..شقتي على واجهة العمارة...أمامها على بُعد مناسب عمارات والحدائق منظر جانبي أما هنا الشقة خلفية تطل على حديقة واسعة.. نعم أعرفها إنما من هذا الإرتفاع روعة...وقفت

لحظة أتملى باللوحة الفنية الطبيعية.. وهواء عليل .. و .و..ماهذا..أهذه سيارة زوجي..تمر من بين العمارات...علي مرمى بصري تبعتها. ..لكي أرى من بداخلها..ولكنها.. من خلفي قالت اتفضلي العصير...تراجعت..اعتذرت لإلتزامي بجدول للحمية كذبا..استأذن..سلامتك يا طانت...دلفت إلى شقتي أغلقت الباب كأني أغلق هذه الزيارة.. انشغلت..اتصلت على صديقة لتناول الغداء المتأخر معا...أجريت إتصالا مع زوجي المهندس بإحدى شركات البترول العالمية ولديها مشروعا بالبحر الأحمر...يقضي معي خمسة أيام و أسبوعين بالموقع.. تزوجنا منذ ثلاث سنوات زواج صالونات.. لم ننجب.. قال الأطباء أننا بحالة طبيعية ولامانع طبيا لدينا على الاطلاق في الإنجاب.. شغلني الموضوع بالبداية... وتركت ذلك للوقت.

-2

جاءني صوته عبر الهاتف هادئا .. أخبارك...كيف كان يومك... محتاجة شئ... سألته ببساطة متى ستأتي...قال في موعدي... بنهاية الأسبوع... أغلقت الهاتف... هو مازال بالموقع، تشابهت عليّ لون وماركة السيارة... منها الكثير..

تناسيت الموضوع وماحدث بالصباح ...ونزلت مع صديقتي للتسوق والعشاء.. وعدت منهكة..نمت... جاء زوجي.. تكلمنا وخرجنا واشترينا إحتياجات البيت ، وقابلنا الاصدقاء بالنادي...كان عادي دونما تغيير عن المعتاد...لكن شئ ما في رأسي.. أو ربما هواجسي. .لكن لاحظت أنه اكثر تودادا.. سافر زوجي.. وعدت لرتابة الأيام، عند عودته من السفر للمرة الثانية.. أصبح هاجسي يضغط على أعصابي.. بالتأكيد إن بالأمر شيئا... استعد زوجي للسفر هيأت له حقيبته.. قبلني وضمني...وتركني..عمل آلي أداء واجب، أخذ سيارته وابتعد وهو يلوح من شباك السيارة، وأنا اقف بالبلكونة أودعه... ارتديت ملابسي.. وقابلت صديقتي.. اقترحت أن نبدل السيارات.. نوع من التجديد...أخذتُ سيارتها البيضاء الصغيرة..وأخذت هي سيارتي الحمراء الهاتشباك.. سلكت طريقي إلى بيتي..واتخذت طرقا بالجوار وأنا اغطي شعري بوشاح.. أُلف بالسيارة هنا وهناك... وكررت ذلك يوما..ويوما وفي اليوم الثالث... وانا أركن السيارة وأفكر واسأل حالي ماذا أفعل... وكيف وصل تفكيري....و...و...وإذا بسيارة تمر من جانبي.. متأنية نعم ..إنها...إنه...زوجي... تتبعت السيارة بنظري..نزل زوجي أمام إحدى العمارات وهو يحمل أكياس مشتريات ومعه سيدة شابة محجبة تمسك بيديها طفلة في الرابعة تقريبا..تقفز حولهما..دخلوا العمارة وقف الحارس مرحبا.. أخذ منه المفاتيح ليركن السيارة.

عرجت بالسيارة أمام العمارة...بادرت الحارس...بادرته السلام عليكم...لو سمحت

نظر إلي...سألته ..الدكتور محمود الكاشف ساكن هنا..قال تقصدي المهندس محمود الكاشف...أيوه.. ساكن هنا ولسه واصل دلوقتي هو والجماعة بتوعه...

اعتذرت وأنا أضع يدي علي خدي لا... أقصد دكتور الأسنان..شكرته وأخذت السيارة بعيدا...وعدت لبيتي.

عاد زوجي بموعده...بعد أن إرتاح.. صارحته بما رأيته... تفاجأ..وقف صامتا.. قال.. نعم أنا متزوج من سنة من زميلتي التي أحببتها حبا جما ولم يوافق أبويها لإرتباطنا..حيث كنت في بداية عمل، ووجدا أن إمكانيتي لاتناسب حياتهم...ومرت السنون... و قابلتها بالمصادفة وقد مات عنها زوجها ومعها طفلة صغيرة .. لم أستطع أن أمنع نفسي من حبها يوما ولم أستطع البعد عنها..تقدمت إليها...تزوجتها.. ونعيش سويا بالجهة الأخرى من المجمع الذي نقطن به.

طلبت الإنفصال.. انفصلنا...جمعت له ملابسه وكتبه..وكل مايخصه....وخرج بلا كلمة.

جلست ارتشف قهوتي بمرارة ولكن بهدوء.

هذه الشقة كانت هي مهري وكتبها بإسمي وتكلف أبي رحمه الله بتأثيث الشقة .. بجميع ماطلبته قطعة قطعة.

حينما خرج من الباب لم اشعر سوى أن حملا ثقيلا قد إنزاح، حياة رتيبة بلا شغف. حاولت النوم... ولكن رائحته أرقتني، جمعت كل الملاءات.. أكياس المخدات.. غطاء السرير جمعتهم في كيس كبير ..اتصلت بإحدى الجمعيات الخيرية للتبرع... استعنت باثنتين من المساعدات لتنظيف البيت..اشتريت أغطية ومفارش وفوط جديدة.

بعد أيام..نزلت إلى الطابق الأول حيث مكتب أبي للمحاماة الذي ورثته وأورثني المهنة...وقد عملت مع أبي بعد تخرجي.. وواصلت العمل بعد زواجي لمدة عام..توفي والدي..وفضلت ترك العمل... فتحت المكتب..وهيأته لزيارة العملاء... اتصلت على من كان يعمل معنا من المحامين... منهم من اعتذر لإرتباطه بالعمل ومنه من رحب مباشرة...استعنت بإبنة جارتي خريجة إدارة أعمال لإدارة المكتب.. عملت بجهد ومثابرة.. تألق العمل مع الزملاء إعتمادا على الله ثم تاريخ واسم والدي والعمل المتواصل ..عدت الي دراستي العليا التي كنت توقفت عنها.

بداية جديدة...عمر أبدأه.. أنفض الكأبة.. الروتين.. الوتيرة... حادثت والدتي... انزعجت بالبداية، ولكن قالت النصيب..ستعود قريبا لتكون بجانبي.

أدخل شقتي وأنا أتنفس بملئ رئتاي... أضحك..أتصرف برشاقة وتفاؤل..وكأنما لم يحدث شئ، واكتشفت أن الشئ الوحيد الذي نقص... هو طبق على السفرة.

نهاية....

التوأم

شاركت وزوجتي في رحلة اليوم الواحد التي نظمها النادي الرياضي الاجتماعي للأعضاء إلى الفيوم والسبع سواقي .. على ضفاف بحيرة قارون جلسنا نستمتع بالهدوء والصحبة ..تعارفنا ضمن المجموعة على المهندس وفيق وزوجته نادية أخصائية تغذية .. في خمسينيات العمر .. ويسكنا في حي الزيتون....سرعان ما تألفنا في الحديث والتواصل .. وعزمناهم على فنجان شاى بمنزلنا بمصر الجديدة.

في السابعة مساء حضرا ..استقبلنا ضيوفنا بكل ترحاب .. أحضرت مدام نادية حلوى الكيك البيتي معها هدية.

جلسنا نحن الأربعة في غرفة الإستقبال والتي تشرف على فراندة تزدان بأنواع متعددة من نباتات الزينة .. أعدت زوجتي فطائر و معجنات ومشهيات صحية خفيفة وقدمتها مع الشاي ساعدتها ضيفتنا في التقديم.. أخذنا الحديث إلى الحياة العامة والبرامج التليفزيونية ..افضت في الشرح عن الحالة الإقتصادية حيث كنت أعمل في أحد البنوك الكبرى.. وتدرجت حتى أصبحت مدير إدارة الإئتمان قبل خروجي للمعاش.. عملت سنة أو أقل بعدها مستشارا في ذات البنك ثم مرضت للإجهاد ..وأجريت لي دعامات بالقلب وأجبرت على الراحة.

ونحن في خضم الحديث دق جرس الباب..سمعت صوت أم السيد ..التي تساعد في البيت منذ ست سنوات تقريبا.. ترحب بالضيف القادم..أهلا.. أهلا ياباشا إتفضل ...إنه إبني سامر ضابط الشرطة كان معه إبنه كريم .. ذا الخمس سنوات.

قمت بتعريف الضيوف له..أومأ برأسه تحية للضيفة وسلم على الضيف باقتضاب.. وجلس متجهما ...احتضني حفيدي بكل محبة ..وقف إلى جواري وقال: إزيك ياتيتا نوال..إنتي عاملة السمبوسك اللي بحبها..نهره أبوه..ثم أردف إزاي يابابا بتأكل الأكل ده ..تورته دي دسمة جدا وإنت ممنوع عن النوعية دي.

قلت دي جاية هدية من ضيوفنا.

أحس الجميع بالتوتر...شعرت بالخجل من فظاظة إبني.

-2
إستأذن ابني وسحب كريم إبنه ودخلا إلى غرفة النوم .. أكملنا سهرتنا مع ضيوفنا ببساطة بعد أن حولت زوجتي بذكاء دفة الحديث عن الرحلة القادمة بالنادي وترتيبنا لها..ثم انصرفا على وعد بلقاء بالنادي.

أوصلنا ضيوفنا إلى باب الشقة وودعاناهما.. لاحظت شنطة سفر بجوار الباب.. قالت أم السيد أنها شنطة الباشا.. وجرتها على عجل، وتركتها على باب الحجرة التي يمكث فيها إبني وحفيدي.. أشارت زوجتي أن تفقد أحوال إبنك.
مرت في ذهني ..في لمحة .. زوجتي أم أولادي وقد تزوجنا في مقتبل العمر في العشرينات ..كنا زملاء بالعمل .. تعرفت عليها.. خطبتها وتزوجنا في شقة بالنزهة الجديدة قام بشرائها أبي رحمه الله .. بعد ثلاث سنوات من الزواج أنجبنا إبننا سامر، بعده بسنتين جاءت سالي، مر وقت ثم توفى والداي خلال سنة .. كنت الابن الوحيد ..

وانتقلت مع أسرتي للإقامى بشقة والداي حيث أقيم الآن... حينما عزم إبني الزواج بمن إختارها .. أعددت له شقتنا بالنزهة.
وتزوجت إبنتي من مهندس يعمل بأحد شركات التعدين...وتعمل في أحد السفارات الأجنبية، ولديها طفلة جميلة ،،شهد،،.
كنت وزوجتي نعمل ونعود لبيتنا مع أولادنا .. مشغولين بهم مع دروسهم وتدريباتهم وكل مايلزمهم من رعاية طوال حياتهم، نزاور الأهل والاصدقاء، نصطاف في شقة صغيرة نمتلكها على مدينة ساحلية ..نسافر كل عامين أو ثلاثة لأحد الدول الأوروبية للترفيه، كنا نعيش في رغد من العيش.. مرت علينا أزمات صحية ومتاعب تجاوزناها معا.. كنت أشكو من عصبية زوجتي سهير وتشددها بالتعامل مع الأولاد أحيانا..وصوتها الحاد العالي، وكنت تلومني على إنتقادي لها وصمتي الطويل في بعض الأيام ، و عدم قدرتي على الشرح المبسط لأولادي في الرياضيات..كلها مشاكل عادية روتينية تحدث ونتفاهم ومرت بنا الأيام بكل مافيها.
ذات يوم إشتكت أم أولادي من تعب .. عرضتها على الطبيب.. دخلنا في دوامة العلاج والأدوية والمستشفي والرعاية ثم فاضت روحها إلى بارئها...
بكيتها من ثنايا قلبي.. بدأنا وكبرنا ونجحنا سويا.. ذكرياتنا وأحلامنا
قضيت فترة عصيبة أسمع صوتها ورائحتها في كل أرجاء البيت.. كان أولادي معي .. والأهل.. ولكن رويدا رويدا انفض الجميع من حولي لإشغالهم وأحوالهم.. أنهيت ..خدمتي بوصولي للسن القانوني بعد وفاتها بعام ، حتى بعد أن عملت مستشارا لم اكن أخرج إلا إلى النادي في الصباح لأتريض قليلا ثم أشرب فنجان من القهوة، ..واقرأ الجريدة ثم أعود إلى البيت الفارغ ، جدران وأثاث ..بلا روح.
في حلقات النشاط الإجتماعي بالنادي، تعرفت على زوجتي الحالية نوال هانم..
في المسابقات الثقافية كانت دائما متميزة.. صوت هادئ رصين واضح الألفاظ ..أنيقة ..راقية...ثم علمت أن لها دروس أسبوعية توعية للأطفال في مرحلة الطلائع ..
...بهرني إلتفاف الأطفال من حولها وقدرتها على التعامل بكل هدوء ولطف وكياسة علمت أنها أستاذ متفرغ بكلية الفنون.. ولديها إبنة معيدة بذات الكلية و جدة ...و... ..أرملة
..عندما عدت إلى بيتي ذلك اليوم لم أستطع إلا أن أفكر بها.
داومت على وجودي بالنادي والمشاركة في فاعليات النشاط وممارسة المشي بجوارها مع مجموعة من الاصدقاء.

تحدثت معها عدة مرات
و... و... عرفت معنى الشوق والإشتياق والحنين والصفاء.. والدهشة أن يكون داخلي تلك الأحاسيس..و أعبر عنها بسخاء..بتدفق ، حديث وتواصل وتوارد الأفكار، وشموع و دموع، لم اختبر تلكم المشاعر..في شبابي، لم أكن أتخيل أن هذه المشاعر تفيض في ذلك العمر.
هل تدركون صفاء الروح، ذوبان الثلوج و دفء القرب، تفتت الصخر، صوت عذب، دقات قلب تتهادي مع نظرة حنان.
بياض خصلات شعري وتهدل جفني وبروز عروق يداي.. وخطواني المتثاقلة ....نسيتها.. وعشت كل ماأشعر به من حيوية وفرح وإقبال على الحياة.
تحدثت هائما إلى نوال هانم مبديا كل سعادتي في الإرتباط بها حتى نكمل مابقي لنا من العمر معا.
بكل لطف ورقة وبعد تردد قصيروتفكير قبلت الزواج بي.
فاتحت إبني وإبنتي.. ورفضا رفضا قاطعا .. وألقوا علي باللوم وأني نسيت أمهما لم أكن مستعدا لأي تبرير أو بداء سبب.. إنها حياتي وأرغب في إستكمالها مع من يؤنس حياتي ويبقيني متقدا.
أصرت ابنتي على جمع كل مايخص والدتها وطلبت أثاث غرفة النوم .. لتحتفظ بها بشقتها في المصيف.. لم أعترض، وطلب إبني أثاث غرفته كذلك، وهبتها له بدون نقاش.
عدلت في شقتي بما يتناسب مع ذوق نوال.
كانت نهال إبنتها مرحبة وسعيدة بزواجنا وساعدت في تغيير ديكور الشقة مع والدتها و.....وتزوجنا.

كأنك تعيش حياة جديدة ..أحاسيس ومشاعر و تكافؤ وتفاهم و... و...شغف ..نعم حياة سخية هادئة دافئة .. إحترام الخصوصية وتقدير خلجات نفسك واستماع وإنصات ..ربما تقدمنا بالعمر ربما قلة مشاغل العمل والأبناء..وإنما الود والأنس والتفاهم وإقبالنا على الحياة معا جمع بيننا ، كنا نتحدث فى كل شئ وأي شئ وكأنما توأم تلاقت أرواحنا لنتكامل...

خرج ابني بالصباح الباكر إلى عمله تاركا إبنه نائما.. خرجت لقضاء بعد الأشغال ..عدت بالرابعة بعد العصر لأجد نوال هانم مع حفيدي بغرفة ابني القديمة والضحكات والسعادة تغمرهما... دخلت الغرفة وتوقفت ..ماهذا ..قالت إنها غرفة جديدة لكريم طلبتها ووصلت وقام العمال بتركيبها .. ووضعت في الركن مقعد مريح يتحول إلى سرير لأجل كابتن سامر ...ونقلت التلفزيون من غرفتنا، ومنضدة صغيرة بكرسي بجانب الشباك.. ولعب كثيرة ..عاد إبني من عمله في البداية تفاجأ بتغيير الغرفة ثم قال لن أمكث طويلا.. وقلت إنها غرفة كريم .. تغدينا .. وجلست معه وفهمت أنه في خلاف مع زوجته ...يقضي فترة طويلة بعمله ويعود مرهقا مضغوطا

... وتعود هي أيضا من عيادتها مرهقة ...مع وجود من يساعدها بالبيت إلا أنها لاتهتم بإحتياجي لوجودها....أخذ يسرد إختلافهما و...و... نمنا... حكيت مع زوجتي وقالت دعني أتحدث مع زوجة إبنك... اصطحبت زوجتي كريم إلى النادي وتقابلت مع الدكتورة سارة ...وأشتكت أن إبني كريم عصبي لدرجة شديدة ويدخن بشراهة لايتحدث عند عودته ...وقد إعترض على سفري لمدة يوم إلى الاسكندرية لحضور مؤتمر رغم عودتي بنفس اليوم أمس ...ورغبتي أن يكون معي كريم .. اعترض وأصر على إصطحابه وترك البيت...تحدثت إليها زوجتي كثيرا بهدوء وحنان ، جلست مع سامر نتحدث واستفيض معه ، حتى قال لي منذ فترة طويلة لم نتحدث ياأبي..وأراك في أفضل حالاتك وأصفى ذهن...كانت زوجتي دائمة الاتصال والحديث مع سارة واتناقش وأتحاور مع كريم و أخذنا العزم على اللقاء مع زوجته بعد خصام عدة أيام، جلسنا أسرة نستمع إلى بعضنا البعض...هكذا تواصل ابني وزوجته وتصافيا وتواعدا على تجديد حياتهما وترابطهما .

نهاية...

صديقتي

كنا نسكن في شقة صغيرة بحي الحلمية الجديدة من غرفتين وصالة في بيت على ناصية شارع فرعي ، كنت ابنة وحيدة لأب موظف بإحدى الإدارات في مصلحة حكومية وأم ست بيت مدبرة قانعة كانت بينهما علاقة طيبة ودودة منسجمة.

حياتنا تدور من الصباح يتأهب أبي للعمل وأمي تحضر سندوتشات المدرسة وأخرج ممسكة بيد أبي ويوصلني حتي باب المدرسة من الإبتدائي وحتي المدرسة الإعدادية.

أعود قبل أبي وتكون أمي أعدت طعام الغداء ورتبت البيت، الصالة بها أنتريه أسيوطي بكسوة من قماش الكريتون وسجادة صوف وستائر مشغولة بإبرة الكروشيه من صنع أمي.

أدخل غرفتي سرير ودولاب ضلفتين وكنبة بلدي ومكتب خشبي صغير في الركن.. بعد الغداء كنت أجلس للمذاكرة ويجلس أبواي على الكنبة، أبي يقرأ الجورنال وأمي مع بلوفر التريكو...نتعشى وننام.

ومرت الايام بحلوها ومرها..حتي جاء يوم مرضت فيه أمي مرضا قصيرا ورحلت...أخذت معها الضوء والدفء..كانت صدمة مؤلمة لأبي بكى كثيرا، ضعف لم يكن يأكل إلا قليلا، وقف كل الجيران معنا يواسونا ويخففوا عنا لمحبتهم لأمي لطيبتها وحرصها الدائم على لم الشمل وحل المشاكل ووقوفها بجوار الجميع في الافراح والأحزان.

مرت شهور وأبي يوم وراء يوم ينزوي ولايتكلم .. أعود من المدرسة وأحضر طعام بسيط ،يعود من العمل ياكل لقمتين ...كنت أحاول التخفيف عنه بلا جدوى... اقترح عليه بعض زملاء العمل بالزواج، بالبداية رفض الفكرة تماما.. ومع الوقت إنساق وراء النصائح ، وبالفعل تقدم لأخت احد زملاءه وتزوجها..تقبلت الوضع حين رأيت صحة أبي تتحسن.

في بداية الأمر .. كانت زوجة ابي تعاملني بلطف وأهتمام..كنت مطيعة وإحتياجاتي بسيطة للغاية..كنت أساعد بالبيت من ترتيب وتنظيف ..مع الوقت بدأت في إهمالي ونهري وتأنيبي علي أي هفوة أو تقصير، كنت أغسل ملابسي، منعتني من تناول الطعام مع أبي .. كانت تضع لي مايتبقي من الغداء..لم يسترعى ذلك أهتمام ابي حيث كانت تنسج أي حكاية تقولها له وكان يصدقها....عقدت العزم أن أهتم بمذاكرتي حتى أكون من المتفوقات كما كانت أمي دائما تحثني عليه.

حملت زوجة أبي ،،أبلة حسنية،،..وجاء أخي محمد، فرح به أبي فرحا أنساه إبنته..كنت أهتم بأخي وأساعدها في حمله ونظافته..ثم جاء اخي ،،أحمد،،..لم يعد لي مكان..كنت أنام بالصالة...كنت أخدم إخوتي بلا ضجر أو ملل، ومع ذلك كانت أبلة حسنية دائما تنهرني وتكيل الشتائم ..طردتني خارج الشقة حينما تجرأت وقلت أنا ماعملتش حاجة..كنت أبكي بالقرب من باب الشقة حتى تسمح لي بالدخول..تدخل الجيران الطيبة لتحسين علاقتها بي...ثم توقفوا من كثرة وشدة ردودها التي تنالهم.

وفي صباح أحد الأيام وبعد نزول أبي للعمل ،كنت أجلس بركن بالصالة وكنت بالاعدادية وأذاكر للإمتحان النهائي بعد أسبوع.

أرهقتني بالطلبات المتتالية ..وصفعتني بقوة وكالت لي السباب والإهانة لعدم تلبية ندائها بسرعة..بكيت.. فتحت باب الشقة ونزلت مسرعة على السلم..لا أدري إلى أين وماذا أفعل..دموعي تغطي وجهي..ظللت أمشي بلا إتجاه في شوارع الحلمية، أخذتني قدماي إلى بيت صديقتي بالمدرسة ،،سامية،،..كان بيت من دورين وحديقة تحيطه وسور خارجي نصفه من الخرسانة والآخر سور حديدي تنمو عليه شجيرات الياسمين..مدخل البيت أربع درجات و درابزين رخامي...طرقت الباب ..فتحت لي فايزة أخت صديقتي التي تصغرها..نادت.. ياسامية صحبتك صفية ...جاءت سامية مرحبة ومستغربة في نفس الوقت..لم نكن نتزاور بالبيت إنما كنت أمر عليها في طريقي للمدرسة صباحا بعد أن تخلى أبي عن توصيلي..كنا نجلس على نفس التخته ،،الديسك،، زرت بيت صديقتي مع أمي حينما رجع والدا سامية من الحج، وزارتنا سامية ووالدتها حين مرضت والدتي.

أدخلتني سامية ونادت على أمها..حينما رأيتها جريت عليها واحتضنتها وبكيت بحرقة..طبطبت على شعري وهي تهدأني..وحكيت لها .. قالت ماتزعليش لما عمك عبد الحميد يجيي بالسلامة يتصرف إن شاء الله.

-2

وصل عم عبد الحميد والد سامية وهو صاحب مكتبة كبيرة لها مدخلين علي ناصية عمارة كبيرة تبيع الكتب الأدبية، العلمية، السياسية، الدينية وهناك ركن كامل للكتب والأدوات المدرسية، كان رجلا في أوئل الخمسينات ومعروف لأهل الحي لتدينه وصلاحه وحكمته.

كان يعود للبيت للغداء والراحة من العصر وحتى المغرب، ثم يواصل العمل ..حكيت له.. قال طيب تعالي ياإبنتي أنا ح أروحك للبيت ..زمان أبوكي بيدورعليكي وقلقان... ولما رأى خوفي قال ماتخافيش.

وبالفعل مشيت إلى جواره حتى وصلنا إلى شارعنا.. وكان أبي بالفعل يقف على أول الشارع ينظر يمينا ويسارا..لما رأني هرول وهو يناديني صفية بنتي وأخذني

بحضنه.. قال عم عبد الحميد.. بسيطة صفية زعلت شوية و هي فترة الإمتحان دي تخلص ويبقى كله تمام... قلت لا لا أنا مش ح أقدر ..وقف أبي حائرا .. بادره عم عبد الحميد طيب إيه رأيك ياأبو محمد صفية تقعد عندنا الكام يوم لغاية ماتخلص الإمتحانات.. وبعدها إن شاء الله ربنا يعمل اللي فيه الخير...إنت عارف إن ابني أسامة خلص الجامعة وسافر أمريكا، وربنا وفقه في عمل والبيت فاضي ...طأطأ أبي رأسه ولم يرد... أسرعت إلى البيت وجمعت كتبي ، وجلابية وبيجامة وملابس وأدوات شخصية ... ونزلت جري قبل أن يحدث أي تغيير... وصلني أبي مع عم عبد الحميد... دخلت والجميع يرحب بي... بعد ان أكلت.. اخذتني ،،أبلة هانم،، والدة سامية إلى غرفة على يمين باب الشقة ملحق بها حمام صغير..مخصص للضيوف ... بها سريرين ودولاب صغير ومائدة خشبية مربعة حولها ثلاث كراسى من البامبو، تعاهدت وصديقتي على المذاكرة بجدية لنكون من الأوائل... كنا نذاكر نهار وليل أنهينا الامتحان وطلبت من عم عبد الحميد أن أعمل معه في المكتبة حتى أتفادى مقابلة زوجة أبي.

وافق.. أحببت العمل بالمكتبة كنت أنسق الكتب والأدوات وأعد المخزون .. كنت أبيع وأرتب ..أخرج من الصباح وأعود الثامنة مساءا .. أرجع البيت للنوم.. تحسنت علاقتي مع أبلة حسنية رويدا .. كنت أعطي ماأقبضه إلى والدي ويعطيني مصروف بسيط..كنت أشتري به لإخوتي الصغار لعب بسيطة.

ظهرت النتيجة وكنت الأولى وصديقتي الثانية على مدرستنا... مرت سنوات المدرسة الثانوية بكل نجاح وتفوق، كنا نذاكر وصديقتي بجدية وحرص على التميز..وفي الصيف أعمل بالمكتبة..تناغمت مع أبلة حسنية وهدأت كثير من المشاحنات.

التحقت بكلية الإقتصاد والعلوم السياسية.. والتحقت سامية بكلية التجارة إختارتها عن قناعة.

كنت احصل على منحة التفوق، ولله الحمد طوال فترة الدراسة... والمبالغ التي حصلت عليها كهدايا وتكريم إدخرتها .. .. من الكلية للبيت للمذاكرة.. كنت أترجم لأحد المكاتب ..على الانترنت...مما وفر لي دخلا شهريا معقول.

عرفتني سامية على ،،جمال" زميل لها بالكلية يكبرنا بسنة دراسية، أصبحنا مجموعة ثلاثية نتقابل مابين المحاضرات نأكل نشرب نتكلم ونضحك... ونواصل الدراسة .. ثم في يوم جاء قال بلا مقدمات أنه يحبني ويرغب في الإرتباط بي.. رديت بلا تفكير لا.. لا.. نحن زملاء وفقط.. إنصرفت.. لم ألتقي بسامية يومين.. أكلمها بدون رد.. تقابلنا بعدها وجدتها مترددة في الحديث معي.. سألت ..فيه إيه ياسامية حصل إيه.. قالت مفيش حاجة بس متوترة من الإمتحانات.. يوم ..وأسبوع.. لم نلتقي كعادتنا تحت شجرة البواتسيانا بالجامعة...ثم جاءت يصطحبها جمال.. قال باركي لصحبتك إحنا إتخطبنا ... قلت في نفسي ''كده'' .. طيب من غير ماتقولي ياصديقة العمر... تماسكت، وقلت ماشاء الله مبروك مبروك.

شئ ما نكسر بيننا.. ياترى قال لك إيه ياسامية عني... افترقنا.

أنهيت دراستي بتفوق .. وحصلت على منحة دراسية بإنجلترا.. بعد تعييني بالكلية..سافرت وكل همي التحصيل والإجادة، وفقني ربي وعدت ..بعد عامين.. إستأجرت شقة في حي منيل الروضة من ثلاث غرف ونقلت أبي وزوجته واخوتي .. إهتممت بتعليم إخوتي ...تحملت كل إحتياجاتهم ..كنت أصرف مع أبي على البيت. عرفني أستاذي على إبن أخيه طبيب نابه يدرس بكلية الطب ..قابلته مرتين ثلاث مرات وتقدم يخطبني من أبي.. تزوجنا وسافرنا ليستكمل دراسته بأمريكا..عشنا ندرس ونبني أنفسنا.. كنا ندعم بعضنا بعضا بالحب والود والحنان والتفاهم والإنسجام والإحترام.. هيأ لنا الله حياة طيبة ..أسس زوجي مستشفى.. وعمل أخوتي محمد وأحمد في الشئون المالية بعد تخرجهما بتفوق ..توفى أبي الغالي وهو راضي عني.. بعدها توفت زوجة أبي وكنت أرعاها من قلبي.. والحمد لله كنا على وفاق.. سامحتني وسامحتها.

كان لنا فيلا من دورين بعمارة شاهقة بالجيزة.. إبني الكبير ياسر في السنة النهائية بالكلية الفنية العسكرية وإبنتي ،،يمنى،،بكلية الصيدلة في السنة الثانية.

بأحد الايام لاحظت أن يمنى متوترة ساهمة.. مالك ياجميلتي ياقطتي .. قالت مفيش يامامي.. أنا بخير.. قلت بابا قلقان عليكي .. قالت بعد تردد مامي فيه زميل لي في السنة النهائية كلمني وقال إنه عايز يتقدم لي .. ابتسمت وأخدتها في حضني.. بنتي حبيبتي كبرت ماشاء الله.. قالت محمود محترم جدا ومتفوق والده لواء بالجيش و مامته محامية .. عنده اخت طبيبة ومتزوجة...وعايز يجيب أسرته ويجيي يتعرف علينا.

تحدثت مع زوجي ابتسم.. واحتضني بحنان كعادته دوما، وقال والله البنت ح تكبرنا ياصفية.. خليهم يتفضلوا يوم الخميس علشان ياسر يكون موجود.

على الموعد رن الجرس.. استقبل الضيوف زوجي وإبني.. كنت مع يمني وهي تتهيأ جميلة بشرة صافية بيضاء تغطي شعرها الناعم الذهبي بايشارب حريري وترتدي فستان اخضر زيتوني شانيل بأكمام، بلمسات من زينة اظهرت لون عيونها العسلية.. نزلنا من الدور الثاني على السلم وأنا ممسكة بأطراف أصابعها ترتجف ياقلبي خجل وفرحة.. وقف الجميع لاستقبالنا.

-3

نقترب خطوة.. خطوة.. زوجي، إبني، والد العريس، العريس،... أم العريس .. اقترب قامت من المقعد المريح.. وصلت إلى أول الصالون، وقفت مكاني تسمرت.. و أم العريس تقف بلا حراك... تركت يد إبنتي .. اقتربت واقتربت.. الضيفة.. وفي لحظة صمت رهيبة وسط ذهول الحضور...صرخت وصرخت معي في نفس واحد.. سامية .. صفية.. وظللنا في عناق وبكاء .. لم أصدق .. إنها صديقتي الوحيدة.. سامية بعد كل هذا العمر نلتقي.

قال زوجي ممكن تفهمونا إيه الحكاية... كنا نتكلم أنا وصديقتي ونكمل الحديث هدأنا وطلبوا يد إبنتي، واتفقنا على كل التفاصيل وقدمت أم العريس خاتم الخطوبة غاية في الاناقة والرقة.

انفردنا أنا وصديقتي ونحن لانصدق أننا تقابلنا وأن يجمع بيننا أولادنا من دون قصد.
قالت لقد اخطأت كثيرا في أن أعطيت أذني لإنسان غير أمين.. بعد أن تقدم لأبي وكان حريصا على عدم إخبارك ..ليجعلها مفاجأة .. هكذا أقنعني.. كنت أميل له.. تعلمي أن مشاعرنا نقية لم نفكر أبدا في الإيذاء .. وأن الناس كلهم طيبي السرائر.. تغير بعد أيام، وتباطئ في إكمال الخطوبة بحجج واهية، كذب وخداع.. حدد موعد لأبي ولم يحضر ... اختفى.
ندمت اشد الندم.. بحثت عنك.. كنت سافرت بالفعل.. تقدم لي إبراهيم وكان نقيب بالجيش وهو من أسرة أمي.. وافقت عليه وتزوجنا في شهور .. تنقلنا بمحافظات مصر مع كل ترقية .. الحمد لله ونعم الزوج.
قلت ولكن كيف تكوني محامية وكنت تدرسين بكلية التجارة.. ضحكت قالت كان لدي وقت فراغ كبير وزوجي يخدم في مطروح..فقررت أن أدرس الحقوق.. وتخرجت بالفعل.. وعملت بالمحاماة...عملت بأحد الشركات ثم افتتحت مكتب.
لايهم ياصديقتي.. نحن معا .. جمعنا رب العالمين.. أبدا مانسيتك.. كنت في قلبي دائما..ومازلت.. صديقتي.

نهاية...

الاستاذة الدكنورة زينب عطية نجدي

مركز البحوث الزراعية

اسم الشهرة: دكتورة زينب النجدي

Zeinaban55@gmail.com

مجموعة قصصية تعبر عن مواقف حياتية تمر بنا ، نختبر فيها قدراتنا على الفهم والتحمل والمثابرة،.....اليقين بأن بداخل كل منا طاقات وأحاسيس تحتاج إلى العزم في التمسك بها وأن المشاعر تتجدد..تمسك بحياتك ..